شرح كشف الشبهات

ويليه

شرح الأصول الستة

العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله

تحقيق

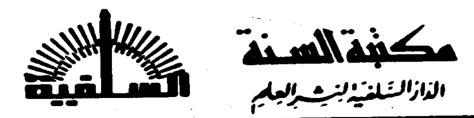
محمد بن عبد الله الطالبي

مكتبة السنة

الطبعة الأولى لمكتبة السنة بالقاهرة

١٤٢٨ هـ = ٢٠٠٧ م

رقم الإيداع : ٢٤٥١٧ / ٢٠٠٦
طبع بدار نوبار للطباعة



القاهرة : ٨١ شارع البستان - ميدان عابدين ،ناصية شارع الجمهورية،
تليفون : ٣٩٠٠٣١٨ - ٣٩١٣٥٣٢ فاكس : ٣٩١٣٥٣٢ - تلكس: ٢١٧١٩ TLTHRB UN
ص . ب : ١٢٨٩ - الرمز البريدى : ١١٥١١

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، مَن يهده الله فهو المهتدي ، ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

أما بعد : فيقول الله تعالى : ﴿ كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [التوبة : ٦٩] . قال شيخ الإسلام ابن تيمية[١] : « ... وجمع سبحانه بين الاستمتاع بالخلاق ، وبين الخوض ؛ لأن فساد الدين إما أن يقع بالاعتقاد الباطل والتكلم به ، أو يقع في العمل بخلاف الاعتقاد الحق .

والأول : هو البدع ونحوها . والثاني : فسق الأعمال ونحوها .

والأول : من جهة الشبهات . والثاني : من جهة الشهوات .

ولهذا كان السلف يقولون : احذروا من الناس صنفين : صاحب هوىً قد فتنه هواه ، وصاحب دنيا أعمته دنياه . وكانوا يقولون : احذروا فتنة العالم الفاجر ، والعابد الجاهل ؛ فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون ، فهذا يشبه المغضوب عليهم ، الذين يعلمون الحق ولا يتبعونه ، وهذا يشبه الضالين الذين يعملون بغير علم .

ووصف بعضهم أحمدَ بنَ حنبل فقال : « رحمه الله ، عن الدنيا ما كان أصبره ، وبالماضين ما كان أشبهه ، أتته البدع فنفاها ، والدنيا فأباها »[٢] .

وقد وصف الله أئمة المتقين فقال : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة : ٢٤] ، فبالصبر تُترك الشهوات ، وباليقين تدفع الشبهات .

ومنه قوله : ﴿ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾ [العصر : ٣] ، وقوله : ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [ص : ٤٥] .

فقوله سبحانه : ﴿ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ ﴾ إشارة إلى اتباع الشهوات ، وهو داء العصاة ، وقوله : ﴿ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ﴾ إشارة إلى اتباع الشبهات ، وهو داء المبتدعة وأهل الأهواء والخصومات ، وكثيرًا ما يجتمعان ، فقلّ مَن تجد في اعتقاده فسادًا إلا وهو يظهر في عمله .

---

(١) في « اقتضاء الصراط المستقيم » ، وأقوم الآن على تحقيقه ، يسر الله لي إتمامه .

(٢) قاله عيسى بن محمد بن النحاس الرملي الفلسطيني ، انظر « مناقب الإمام أحمد » (ص١٧٣) ، و« البداية والنهاية » (١٠/٣٣٦) .

وقد دلت الآية على أن الذين كانوا من قبل استمتعوا وخاضوا ، وهؤلاء - أي المنافقين - فعلوا مثل أولئك .

ثم قوله : ﴿فَٱسْتَمْتَعْتُم﴾ ، ﴿وَخُضْتُمْ﴾ خبر عن وقوع ذلك في الماضي وهو ذمٌّ لمن يفعله إلى يوم القيامة ، كسائر ما أخبر الله به عن الكفار والمنافقين عند مبعث محمد ﷺ ، فإنه ذم لمن حاله كحالهم إلى يوم القيامة . وقد يكون خبرًا عن أمر دائم مستمر ... وهذا أحسن القولين .

وقد توعد الله سبحانه هؤلاء المستمتعين الخائضين بقوله : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ ، وهذا هو المقصود هنا من هذه الآية ، وهو أن الله قد أخبر أن في هذه الأمة مَن استمتع بخلاقه ، كما استمتعت الأمم قبلهم ، وخاض كالذي خاضوا ، وذمهم على ذلك ، وتوعدهم على ذلك ...

وقد قدمنا أن طاعة الله ورسوله في وصف المؤمنين بإزاء ما وصف به هؤلاء ، من مشابهة القرون المتقدمة ، وذم مَن يفعل ذلك ، وأمره بجهاد الكفار والمنافقين - بعد هذه الآية - دليل على جهاد هؤلاء المستمتعين الخائضين »[1] . اهـ .

قال ابن القيم عندما تكلم عن مراتب الجهاد فقال في « الزاد » (٣/١٠) : « وأما جهاد الشيطان فمرتبتان : إحداهما : جهاده على دفع ما يُلقى إلى العبد من الشبهات والشكوك القادحة في الإيمان . الثانية : جهاده على دفع ما يلقي إليه من الإرادات الفاسدة والشهوات ، فالجهاد الأول : يكون بعده اليقين ، والثاني : يكون بعده الصبر ، قال تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة : ٢٤] ، فأخبر أن إمامة الدين إنما تُنال بالصبر واليقين ، فالصبر يدفع الشهوات والإرادات الفاسدة ، واليقين يدفع الشكوك والشبهات .

وأما جهاد الكفار والمنافقين فأربع مراتب : بالقلب ، واللسان ، والمال ، والنفس ، وجهاد الكفار أخص باليد ، وجهاد المنافقين أخص باللسان » .

وما كتابنا هذا « كشف الشبهات » للشيخ العلامة محمد بن عبد الوهاب ، وشرحه للشيخ محمد بن صالح العثيمين إلا جهاد من هذين العالِمَيْن في كشف شبهات المبتدعين المضلين ، فأسأل الله تعالى أن يجزيهما خير الجزاء ، وأن يجعل ذلك في ميزانهما يوم القيامة ، وأن يغفر لنا زلاتنا ، وأن ينفع المسلمين بهذا الكتاب ، آمين

وكتبه
أبو عاطف محمد بن عبد الله الطالبي
عفا الله عنه وعن والديه

---

(١) يقصد شيخ الإسلام بقوله هذا قول الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة : ٧٣] .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد للَّه نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده اللَّه فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد :

فهذا شرح يسير على كتاب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب المسمى « **كشف الشبهات** » والذي أورد فيه المؤلف بضع عشرة شبهة لأهل الشرك ، وأجاب عنها بأحسن إجابة مدعمة بالدليل مع سهولة المعنى ووضوح العبارة .

أسأل اللَّه تعالى أن يثيبه على ذلك ، وأن ينفع بذلك العباد ، إنه على كل شيء قدير .

محمد بن صالح العثيمين

بسم(١) الله(٢) الرحمن(٣) الرحيم(٤)

---

(١) ابتدأ المؤلف رحمه الله تعالى كتابه بالبسملة اقتداءً بكتاب الله عز وجل فإنه مبدوء بالبسملة ، واقتداء برسول الله ﷺ ، فإنه يبدأ كتبه ورسائله بالبسملة .
والجار والمجرور متعلق بفعل محذوف مؤخر مناسب للمقام تقديره : بسم الله أكتب .
وقَدَّرْنَاهُ فعلًا : لأن الأصل في العمل الأفعال .
وقَدَّرْنَاهُ مؤخرًا لفائدتين :
الأولى : التبرك بالبداءة باسم الله تعالى .
الثانية : إفادة الحصر ؛ لأن تقديم المتعلق يفيد الحصر[1] .
وقدرناه مناسبًا : لأنه أدل على المراد ، فلو قلنا مثلًا عندما نريد أن نقرأ كتابًا : باسم الله نبتدئ . ما يُدْرَى بماذا نبتدئ ، لكن بسم الله نقرأ أدل على المراد .

(٢) لفظ الجلالة علم على الباري جل وعلا ، وهو الاسم الذي تتبعه جميع الأسماء ، حتى إنه في قوله تعالى : ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم : ١، ٢] . لا نقول إن لفظ الجلالة (الله) صفة بل نقول هي عطف بيان لئلا يكون لفظ الجلالة تابعًا تبعية النعت للمنعوت ، ولهذا قال العلماء : أعرف المعارف لفظ (الله) ؛ لأنه لا يدل على أحد سوى الله عز وجل .

(٣) الرحمن : اسم من الأسماء المختصة بالله ؛ لا يطلق على غيره ، **ومعناه**: المتصف بالرحمة الواسعة.

(٤) الرحيم : اسم يطلق على الله عز وجل وعلى غيره ، **ومعناه** : ذو الرحمة الواصلة ، فالرحمن ذو الرحمة الواسعة ، والرحيم ذو الرحمة الواصلة ، فإذا جُمِعَا صار المراد بالرحيم الموصل رحمته إلى من يشاء من عباده كما قال الله تعالى : ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ [العنكبوت: ٢١] ، والمراد بالرحمن : الواسع الرحمة .

---

[1] انظر حاشية العطار على شرح الجلال (٢/٣٣٣) .

اعلم(١) رحمك الله(٢) أن التوحيد هو : إفراد الله سبحانه بالعبادة(٣) .

(١) العلم هو (إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكًا جازمًا)[1] .
ومراتب الإدراك ست :
الأولى : العلم وتقدم تعريفه . **الثانية** : الجهل البسيط ، وهو « عدم الإدراك بالكلية » .
الثالثة : الجهل المركب ، وهو : « إدراك الشيء على وجه يخالف ما هو عليه » ، وسمي مركبًا ؛ لأنه جهلان : جهل الإنسان بالواقع ، وجهله بحاله ؛ حيث ظن أنه عالم وليس بعالم .
الرابعة : الوهم ، وهو : « إدراك الشيء مع احتمال ضد راجح » .
الخامسة : الشك ، وهو : « إدراك الشيء مع احتمال ضد مساو » .
السادسة : الظن ، وهو : « إدراك الشيء مع احتمال ضد مرجوح »[2] .
والعلم ينقسم إلى قسمين : ضروري ونظري . **فالضروري** : ما يكون إدراك المعلوم فيه ضروريًا ، بحيث يضطر إليه من غير نظر ولا استدلال ، كالعلم بأن النار حارة مثلًا .
والنظري : ما يحتاج إلى نظر واستدلال ، كالعلم بوجوب النية في الوضوء .

(٢) أي أفاض الله عليك من رحمته التي تحصل بها على مطلوبك وتنجو من محذورك ، **فالمعنى** : غفر الله لك ما مضى من ذنوبك ، ووفقك وعصمك فيما يستقبل منها ، هذا إذا أفردت الرحمة ، أما إذا قرنت بالمغفرة ؛ **فالمغفرة** : لما مضى من الذنوب ، **والرحمة** : التوفيق للخير والسلامة من الذنوب في المستقبل . وصنيع المؤلف – رحمه الله – يَدُلُّ على شفقته وعنايته بالمخاطب .

(٣) **التوحيد لغة** : مصدر وحَّد يوحِّد ، أي جعل الشيء واحدًا ، وهذا لا يتحقق إلا بنفي وإثبات ، نفي الحكم عما سوى الموحَّد ، وإثباته له ؛ لأن النفي وحده تعطيل ، والإثبات وحده لا يمنع المشاركة ، فمثلًا لا يتم للإنسان التوحيد حتى يشهد أن لا إله إلا الله ، فينفي الألوهية عما سوى الله تعالى ويثبتها لله وحده .
وفي الاصطلاح : عرف المؤلف رحمه الله تعالى التوحيد بقوله : « التوحيد هو إفراد الله =

[1] انظر « الواضح في أصول الفقه » (١٠/١) ، و « شرح اللمع » (٨٤/١) ، و « العدة » (٧٦/١) ، و « البرهان في أصول الفقه » (١١٥/١) ، و « شرح مختصر الروضة » (١٦٩/١) ، و « المستصفى » (١٦/١) .

[2] انظر « شرح الكوكب المنير » (٣٠/١) ، و« غمز عيون البصائر شرح الأشباه والنظائر » (٣٨٤/١) ، و« حاشية العطار » (٤٧٢/١) .

وهو دين الرسل، الذي أرسلهم الله به إلى عباده(١).

= عز وجل بالعبادة »؛ أي أن تعبد الله وحده، ولا تشرك به شيئًا، بل تفرده وحده بالعبادة محبة، وتعظيمًا، ورغبة، ورهبة. ومراد الشيخ رحمه الله تعالى التوحيد الذي بعثت الرسل لتحقيقه؛ لأنه هو الذي حصل الإخلال به والخلاف بين الرسل وأممهم.

وهناك تعريف أعمُّ للتوحيد وهو: « إفراد الله سبحانه وتعالى بما يختص به »[1].

وأنواعه ثلاثة:

الأول: توحيد الربوبية: وهو « إفراد الله تعالى بالخلق، والملك، والتدبير » قال الله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]. وقال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [فاطر: ٣]. وقال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١]. وقال تعالى ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

الثاني: توحيد الألوهية: وهو « إفراد الله تعالى بالعبادة؛ بأن لا يتخذ الإنسان مع الله أحدًا يعبده كما يعبد الله، أو يتقرب إليه كما يتقرب إلى الله تعالى ».

الثالث: توحيد الأسماء والصفات: وهو « إفراد الله سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته الواردة في كتابه وسنة رسوله ﷺ، وذلك بإثبات ما أثبته، ونفي ما نفاه من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف[2]، ولا تمثيل ».

(١) مراد الشيخ رحمه الله تعالى هنا توحيد الألوهية فهو دين الرسل، فكلهم أرسلوا بهذا الأصل الذي هو التوحيد كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]. وهذا النوع هو الذي ضل فيه المشركون الذين قاتلهم النبي ﷺ، واستباح دماءهم، وأموالهم، وأرضهم، وديارهم، وسبى نساءهم وذريتهم. =

[1] لأن هذا التعريف يعم ويشمل أنواع التوحيد الثلاثة، توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وأما تعريف صاحب المتن فهو لتوحيد العبادة الذي هو توحيد الألوهية.

[2] قول الشارح هنا « ومن غير تكييف » لا يقصد به نفي الكيفية، بل المقصود نفي معرفة الكيفية، قال الشارح في « شرح القواعد المثلى » (ص١٥٢): « وإذا تأملنا قوله: « الكيف غير معقول » فإنه يدل على إثبات كيفية لكنها غير معقولة، وليس كما قال بعضهم: إنه يدل على أنه نفي الكيفية كلها؛ لأن نفي الكيفية نفي للوجود، إذ ما من موجود إلا وله كيفية، وعلى هذا فيكون معنى كلام مالك رحمه الله وغيره من السلف في نفي الكيفية - يكون المراد به نفي التكييف لا أصل الكيفية ».

فأولهم(١) نوح عليه السلام أرسله الله إلى قومه؛ لما غلوا(٢) في

= ومن أخل بهذا التوحيد فهو مشرك كافر - وإن أقر بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات.
فإفراد الله وحده بالعبادة: هو دين الرسل الذين أرسلهم الله به إلى عباده كما قال الشيخ رحمه الله، فها هو أول الرسل نوح عليه السلام يقول كما حكى الله عنه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [هود: ٢٥، ٢٦]، وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٦٥، هود: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٧٣، هود: ٦١]، وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٨٥، هود: ٨٤].

(١) هذا حق فإنه لم يُبعث قبل نوح عليه الصلاة والسلام رسول، وبهذا نعلم خطأ المؤرخين الذين قالوا إن إدريس عليه الصلاة والسلام كان قبل نوح؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٣]، وفي الحديث الصحيح في قصة الشفاعة «أن الناس يأتون إلى نوح فيقولون له: أنت أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض»[1].
فلا رسول قبل نوح بإجماع العلماء. فنوح أول الرسل بالكتاب، والسنة، والإجماع[2].
ونوح عليه الصلاة والسلام أحد الرسل الخمسة الذين هم أولو العزم وهم: محمد ﷺ، وإبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم الصلاة والسلام، وقد ذكرهم الله في موضعين من كتابه في سورة الأحزاب وسورة الشورى[3].

(٢) يعني أن الله أرسل نوحًا عليه الصلاة والسلام إلى قومه لما وقع فيهم الغلو في الصالحين، =

[1] متفق عليه: البخاري (٤٤٧٦)، ومسلم (١٩٣) عن أنس. قال الحافظ في «الفتح» (١١/٤٣٤): «وقد استشكلت هذه الأولية بأن آدم نبي مرسل، وكذا شيث وإدريس، وهم قبل نوح ... ومحصل الأجوبة عن الإشكال المذكور: أن الأولية مقيدة بقوله: «أهل الأرض ..» لأن آدم ومن ذكر معه لم يرسلوا إلى أهل الأرض ويشكل عليه حديث جابر، ويجاب بأن بعثته إلى أهل الأرض باعتبار الواقع لصدق أنهم قومه، بخلاف عموم بعثة نبينا محمد ﷺ لقومه ولغير قومه، أو الأولية مقيدة بكونه أهلك قومه، أو أن الثلاثة كانوا أنبياء ولم يكونوا رسلًا، وإلى هذا جنح ابن بطال في حق آدم ...» وانظر بقية كلامه.

[2] ما ذكره الحافظ في الهامش السابق يظهر أنه لا إجماع في المسألة.

[3] الآية رقم: ٨ من سورة الأحزاب، ورقم: ١٣ من الشورى.

الصالحين(١) : ودًّا ، وسواعًا ، ويَغوثَ ، ويعوقَ ، ونسرًا(٢) .

= وقد بَوَّبَ المؤلف رحمه اللّٰه في كتاب التوحيد على هذه المسألة فقال : (باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين) .

والغلو هو : (مجاوزة الحد في التعبد والعمل والثناء قدحًا أو مدحًا) .

والغلو ينقسم إلى **أربعة أقسام** :

القسم الأول : الغلو في العقيدة ، كغلو أهل الكلام في الصفات ، حتى أدى بهم إما إلى التمثيل ، أو التعطيل .

والوسط : مذهب أهل السنة والجماعة بإثبات ما أثبته اللّٰه لنفسه ، أو أثبته له رسوله ﷺ ، من الأسماء والصفات ، من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ، ولا تمثيل .

القسم الثاني : الغلو في العبادات كغلو الخوارج الذين يرون كفر فاعل الكبيرة ، وغلو المعتزلة حيث قالوا : إن فاعل الكبيرة بمنزلة بين المنزلتين ، وهذا التشدد قابله تساهل المرجئة حيث قالوا : لا يضر مع الإيمان ذنب .

والوسط : مذهب أهل السنة والجماعة أن فاعل المعصية ناقص الإيمان بقدر المعصية .

القسم الثالث : الغلو في المعاملات ، وهو التشدد بتحريم كل شيء ، وقابل هذا التشدد تساهل من قال بحل كل شيء ، ينمي المال والاقتصاد حتى الربا والغش وغير ذلك .

والوسط : أن يقال : تحل المعاملات المبنية على العدل ، وهي ما وافق ما جاءت به النصوص من الكتاب والسنة .

القسم الرابع : الغلو في العادات وهو التشدد في التمسك بالعادات القديمة ، وعدم التحول إلى ما هو خير منها ، أما إن كانت العادات متساوية في المصالح فإن كون الإنسان يبقى على ما هو عليه خير من تلقي العادات الوافدة .

(١) **الصالح** : هو الذي قام بحق اللّٰه وبحق عباد اللّٰه .

(٢) هذه أصنام في قوم نوح عليه السلام كانوا رجالًا صالحين ، وقد جاء في « صحيح البخارى » عن ابن عباس رضى اللّٰه عنهما أنه قال : « هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها أنصابًا =

وآخر الرسل محمد ﷺ(١).

وهو الذي كَسَرَ صور هؤلاء الصالحين(٢)، أرسله الله إلى أناس يتعبدون

= وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ، ولم تعبد حتى إذ هلك أولئك ونسي العلم عبدت »[1] .

وهذا التفسير فيه إشكال حيث يقول رضي الله عنه : « هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، وظاهر القرآن أنها قبل نوح قال الله تعالى : ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ۝ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ۝ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح : ٢١- ٢٣] .

فظاهر الآية أن قوم نوح كانوا يعبدونهم ، وأنه نهاهم عن ذلك ، فسياق الآية يدل على ما ذكره ابن عباس ، إلا أن ظاهر السياق أن هؤلاء القوم الصالحين كانوا قبل نوح عليه السلام . والله أعلم .

(١) دليل ذلك قوله تعالى : ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] ، فلا نبي بعد النبي محمد ﷺ .

فإن قيل : إن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام ينزل آخر الزمان وهو رسول !

فنقول : هذا حق ، ولكنه لا ينزل على أنه رسول مجدد ، بل ينزل على أنه حاكم بشريعة النبي محمد عليه الصلاة والسلام ؛ لأن الواجب على عيسى وعلى غيره من الأنبياء الإيمان بمحمد ﷺ ، واتباعه ونصره ، كما قال الله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران : ٨١] . وهذا الرسول المُصَدِّقُ لما معهم هو محمد ﷺ ، كما صح ذلك عن الصحابي الجليل ابن عباس رضي الله عنه ، وغيره .

(٢) أي أن النبي ﷺ كسر صور الأصنام وذلك يوم الفتح حين دخل الكعبة فوجد حولها وفيها ثلاثمائة وستين صنمًا ، وجعل يطعنها عليه الصلاة والسلام بالحربة وهو يتلو قوله تعالى : ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١][2] .

[1] أخرجه البخاري (٤٩٢٠) .

[2] **متفق عليه** : أخرجه البخاري (٤٧٢٠) ، ومسلم (١٧٨١) من حديث عبد الله بن مسعود .

ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيرًا[(١)] ، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله ، يقولون : نريد منهم التقرب إلى الله ، ونريد شفاعتهم عنده ، مثل الملائكة ، وعيسى ، ومريم ، وأناس غيرهم من الصالحين[(٢)] .

فبعث الله محمدًا ﷺ يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم عليه السلام ، ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله تعالى ، لا يصلح منه شيء لغير الله ، لا لملك مقرب ، ولا لنبي مرسل ، فضلًا عن غيرهما[(٣)] .

---

(١) أي أن الله بعث رسوله محمدًا عليه الصلاة والسلام إلى قوم يتعبدون ، لكنها عبادة باطلة ما أنزل بها من سلطان ، ويتصدقون ويفعلون كثيرًا من أمور الخير لكنها لا تنفعهم ؛ لأنهم كفار ، ومن شرط التقرب إلى الله تعالى أن يكون المتقرب إلى الله مسلمًا ، وهؤلاء غير مسلمين .

(٢) أي أنهم إنما يعبدون هذه الأصنام لتقربهم إلى الله زلفى ، فهم مقرون بأنها دون الله ، وأنها لا تملك لهم نفعًا ولا ضرًا ، وأنهم شفعاء لهم عند الله عز وجل ، ولكن هذه الشفاعة شفاعة باطلة لا تنفع أصحابها ؛ لأن الله عز وجل يقول : ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨] . وذلك لأن الله تعالى لا يرضى لهؤلاء المشركين شركهم ، ولا يمكن أن يأذن بالشفاعة لهم ؛ لأنه لا شفاعة إلا لمن ارتضاه الله عز وجل ، والله لا يرضى لعباده الكفر ولا يحب الفساد ، فتعلق المشركين بآلهتهم يعبدونها ويقولون : ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] تعلق باطل غير نافع ، بل هذا لا يزيدهم من الله تعالى إلا بعدًا[1] ، على أن المشركين يرجون شفاعة أصنامهم بوسيلة باطلة وهي عبادة هذه الأصنام ، وهذا من جهلهم وسفههم أن يحاولوا التقرب إلى الله تعالى بما لا يزيدهم منه إلا بعدًا .

(٣) يقول المؤلف رحمه الله تعالى : إنهم ما زالوا على هذا الكفر ؛ وهو عبادة هذه الأصنام ؛ لتقربهم بزعمهم إلى الله تعالى ، حتى بعث الله رسوله وخاتم أنبيائه محمدًا ﷺ ، بعثه الله تعالى بالتوحيد الخالص يدعو الناس إلى عبادة الله وحده ويحذرهم من الشرك قال الله تعالى : ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢] ، ويبين لهم أن العبادة حق لله وحده ، وأنه لا يجوز صرف =

---

[1] قال الله تعالى : ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ [فاطر : ٣٩] .

وإلا فهؤلاء المشركون يشهدون أن اللَّه هو الخالق وحده لا شريك له ، وأنه لا يرزق إلا هو ، ولا يحيي ولا يميت إلا هو ، ولا يدبر الأمر إلا هو ، وأن جميع السماوات ومن فيهن ، والأرضين السبع ومن فيهنَّ ؛ كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره(١) .

= شيء منها لغيره سبحانه وتعالى لا لمَلَك مقرب ، ولا لنبي مرسل فضلًا عن غيرهما فقال تعالى : ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [يس : ٦٠، ٦١] .

وقوله : « يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم » كأنه يشير إلى قوله تعالى : ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣] .

وقوله : « محض حق اللَّه » . أي خالص حقه .

(١) يقول رحمه اللَّه تعالى : إن هؤلاء المشركين الذين بعث فيهم رسول اللَّه ﷺ يقرون بأن اللَّه وحده هو الخالق ، وأنه هو الذي خلق السماوات والأرض ، وأنه هو الذي خلقهم ، وأنه هو المدبر للأمور ، كما ذكر اللَّه عنهم في آيات عديدة من القرآن الكريم ، قال اللَّه تعالى : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩] . و قوله تعالى : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧] .

والآيات في هذا المعنى كثيرة ، لكن هذا لا ينفعهم ؛ لأن هذا إقرار بالربوبية فقط ، ولا ينفع الإقرار بالربوبية حتى يكون معه الإقرار بالألوهية وعبادة اللَّه وحده . واعلم أن الإقرار بالربوبية يستلزم الإقرار بالألوهية ، وأن الإقرار بالألوهية متضمن الإقرار بالربوبية .

أما الأول : فهو دليل ملزم[1] ، أي أن الإقرار دليل ملزم لمن أقر به أن يقر بالألوهية ؛ لأنه إذا كان اللَّه وحده هو الخالق ، وهو المدبر للأمور ، وهو الذي بيده ملكوت كل شيء ، فالواجب أن تكون العبادة له وحده لا لغيره .

والثاني : متضمن[2] للأول يعني أن توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية ؛ لأنه لا يَتَأَلَّه =

---

[1] وهو ما يسمى دلالة الالتزام وهي : دلالة اللفظ على لازم خارج .

[2] وهو ما يسمى بدلالة التضمن وهي : دلالة اللفظ على جزء معناه . وانظر شرح « القواعد المثلى » (ص٥٦) .

فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يشهدون بهذا[(١)] فاقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١][(٢)].

وقوله[(٣)]: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ

= إلا للرب عز وجل الذي يُعْتَقَدُ أنه هو الخالق وحده، وهو المدبر لجميع الأمور سبحانه وتعالى.

(١) ذكر المؤلف رحمه الله هنا دليل ما قرر أن هؤلاء يقرون بتوحيد الربوبية، ولكنه أتى به على سبيل السؤال والجواب ليكون هذا أمكن وأثبت وأتم في الاستدلال فقال: «فإذا أردت الدليل... فاقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾» [يونس: ٣١] الآية.

(٢) ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١] يعني إذا كنتم تقرون بهذا أفلا تتقون الله الذي أقررتم له بتمام الملك وتمام التدبير، وأنه وحده الخالق الرازق المالك للسمع والأبصار، المخرج للحي من الميت، وللميت من الحي، المدبر لجميع الأمور، وهذا الاستفهام للتوبيخ والإلزام، أي أنكم إذا أقررتم بذلك لزمكم أن تتقوا الله وتعبدوه وحده لا شريك له.

(٣) وقوله: يعني واقرأ قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ﴾ إلى آخر الآيات، وهذه الآيات مما يدل على أن المشركين الذين بعث فيهم النبي ﷺ يقرون بتوحيد الربوبية، فإنهم يقرون بأن الأرض ومن فيها لله لا شريك له، ويقرون بأن الله هو الذي خلق السموات والأرض، وأنه رب العرش العظيم، ويقرون بأن بيده ملكوت كل شيء، وأنه هو الذي يجير ولا يجار عليه، وكل هذا ملزم لهم بأن يعبدوا الله وحده ويفردوه بالعبادة، ولهذا جاء توبيخهم بصيغة الاستفهام في ختام كل آية من الآيات الثلاث.

والآيات الدالة على أن المشركين الذين بعث فيهم النبي ﷺ يقرون بتوحيد الربوبية كثيرة.

لِلَّهِۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ﴾ [المؤمنون : ٨٤ - ٨٩] .

وغير ذلك من الآيات .

فإذا تحققت أنهم[١] مقرون بهذا[٢] ، ولم يدخلهم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله ﷺ[٣] ، وعرفت أن التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة الذي يُسميه المشركون في زماننا « الاعتقاد »[٤] ، كما كانوا يدعون الله سبحانه ليلًا ونهارًا .

ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم من الله ليشفعوا له ، أو

---

(١) أي الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ من المشركين

(٢) يعني توحيد الربوبية ، وهو اعتقاد أن الله وحده هو الخالق المالك المدبر لجميع الأمور .

(٣) أي أن إيمانهم بأن الله هو الخالق المالك المدبر لجميع الأمور ، لم يدخلهم في توحيد العبادة الذي دعاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ولم يعصم دماءهم وأموالهم .

(٤) أي إذا عرفت أن الذي أنكروه هو توحيد العبادة الذي يسميه - كما قال الشيخ رحمه الله - مشركو زماننا : « الاعتقاد » ، تبين لك أن هذا الذي أقروا به لا يكفي في التوحيد ، بل ولا يكفي في الإسلام كله ، فإن مَن لم يقر بتوحيد العبادة فإنه ليس بمسلم ، حتى ولو أقر بتوحيد الربوبية ، ولهذا قاتل النبي ﷺ المشركين مع أنهم يقرون بتوحيد الربوبية كما تقدم .

يدعو رجلًا صالحًا مثل اللات ، أو نبيًا مثل : عيسى[١] ، وعرفت[٢] أن رسول الله ﷺ قاتلهم على هذا الشرك[٣] ، ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده[٤] ، كما

---

(١) يعني أن هؤلاء المشركين في عبادة الله كانوا يدعون الله تعالى إذا اضطروا إلى ذلك ، ومنهم مَن يدعو الملائكة لقربهم من الله – عز وجل – ، ويزعمون أن مَن قرب من الله سبحانه وتعالى فهو مستحق للعبادة ، وهذا من جهلهم ؛ فإن العبادة حق الله وحده لا يشركه فيها أحد .

وأن منهم مَن يدعو اللات ، واللّات بالتشديد اسم فاعل من اللت ، وأصله رجل كان يلت السويق للحجاج ، أي يجعل فيه السمن ويطعمه الحجاج ، فلما مات عكفوا على قبره ثم عبدوه ، وأن منهم مَن يعبد المسيح عليه السلام ؛ لكونه آية من آيات الله ، وأن منهم من يعبد الأولياء لقربهم من الله سبحانه وتعالى ، وكل هذا من تزيين الشيطان لهم أعمالهم التي ضلوا بها عن الصراط المستقيم ، قال الله تعالى : ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف : ١٠٣ – ١٠٥] .

(٢) هذه معطوفة على قوله : « فإذا تحققت » .

(٣) أي الشرك في العبادة حيث كانوا يعبدون غير الله معه ، وليس المراد الشرك في الربوبية ؛ لأن المشركين الذين بعث فيهم النبي ﷺ كانوا يؤمنون بأن الله وحده هو الرب ، وأنه مجيب دعوة المضطرين ، وأنه هو الذي يكشف السوء إلى غير ذلك مما ذكر الله عنهم من إقرارهم بربوبية الله عز وجل وحده .

فالنبي ﷺ قاتل هؤلاء المشركين الذين لم يقروا بتوحيد العبادة ، بل استحل دماءهم وأموالهم ، وإن كانوا يقرون بأن الله وحده هو الخالق ؛ لأنهم لم يعبدوه ولم يخلصوا له العبادة .

(٤) **الإخلاص لله معناه** : « أن يقصد المرء بعبادته التقرب إلى الله سبحانه وتعالى والوصول إلى دار كرامته » .

قال اللّه تعالى : ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] .

وقال تعالى : ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ [الرعد: ١٤][١] ، وتَحَقَّقْتَ[٢] أن رسول اللّه ﷺ قاتلهم ليكون الدعاء كله للّه[٣] ،

---

(١) يعني أن هذه الأصنام التي يدعونها من دون اللّه لا تستجيب لهم بشيء كما قال تعالى : ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف : ٥، ٦] .

(٢) قوله : « وتحققت » معطوف على قوله : فإذا تحققت .

(٣) **الدعاء على نوعين :**

الأول : دعاء عبادة بأن يتعبد للمدعو طلبًا لثوابه وخوفًا من عقابه ، وهذا لا يصح لغير اللّه ، وصرفه لغير اللّه شرك أكبر مخرج عن الملة ، وعليه يقع الوعيد في قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] .

النوع الثاني : دعاء المسألة ، وهو دعاء الطلب ، أي طلب الحاجات وينقسم إلى **ثلاثة أقسام :**

القسم الأول : دعاء اللّه سبحانه وتعالى بما لا يقدر عليه إلا هو ، وهو عبادة للّه تعالى ؛ لأنه يتضمن الافتقار إلى اللّه تعالى واللجوء إليه ، واعتقاد أنه قادر كريم واسع الفضل والرحمة ، فمن دعا غير اللّه عز وجل بشيء لا يقدر عليه إلا اللّه فهو مشرك كافر سواء كان المدعو حيًّا أو ميتًا .

القسم الثاني : دعاء الحي بما يقدر عليه مثل : يا فلان اسقني . فلا شيء فيه .

القسم الثالث : دعاء الميت أو الغائب بمثل هذا فإنه شرك ؛ لأن الميت أو الغائب لا يمكن أن يقوم بمثل هذا فدعاؤه إياه يدل على أنه يعتقد أن له تصرفًا في الكون ، فيكون بذلك مشركًا .

والذبح كله لله[١]، والنذر كله لله[٢]، والاستغاثة كلها بالله[٣]، وجميعَ أنواع العبادات كلها لله.

---

(١) **الذبح**: «إزهاق الروح بإراقة الدم على وجه مخصوص».
ويقع على وجوه:
الأول: أن يقصد به تعظيم المذبوح له، والتذلل له، والتقرب إليه، فهذه عبادة، لا يكون إلا لله تعالى، على الوجه الذي شرعه الله تعالى، وصرفه لغير الله شرك أكبر لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].
الثاني: أن يقصد به إكرام الضيف، أو وليمة لعرس ونحو ذلك فهذا مأمور به إما وجوبًا أو استحبابًا لقوله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»[1]. وقوله لعبد الرحمن بن عوف حين تزوج: «أولم ولو بشاة»[2].
الثالث: أن يقصد به التمتع بالأكل أو الإتّجارِ به ونحو ذلك، فهذا من قسم المباح فالأصل فيه الإباحه؛ لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ [يس: ٧١، ٧٢]، وقد يكون مطلوبًا أو منهيًا عنه حسبما يكون وسيلة له.

(٢) **النذر**: يطلق على العبادات المفروضة عمومًا، ويطلق على النذر الخاص؛ وهو إلزام الإنسان نفسه بشيء لله عز وجل، والمراد به هنا الأول فالعبادات كلها لله تعالى لقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

(٣) **الاستغاثة**: طلب الغوث والإنقاذ من الشدة والهلاك.
وهو أقسام:
الأول: الاستغاثة بالله عز وجل، وهذا من أفضل الأعمال وأكملها، وهو دأب الرسل عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم.
ودليله قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩].
=

---

[1] **متفق عليه**: البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧) من حديث أبي هريرة.
[2] **متفق عليه**: البخاري (٢٠٤٩) ومسلم (١٤٢٧) عن أنس.

وعرفتَ(١) : أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم فى الإسلام ، وأن قصدهم الملائكة والأنبياء والأولياء يريدون شفاعتهم ، والتقرب إلى اللَّه بذلك ، هو الذي أحلَّ دماءهم وأموالهم ؛ عرفت حينئذٍ التوحيد الذي دعت إليه الرسل ، وأبى عن الإقرار به المشركون(٢) .

= **الثاني** : الاستغاثة بالأموات أو بالأحياء غير الحاضرين القادرين[1] على الإغاثة فهذا شرك ، لأنه لا يفعله إلا من يعتقد أن لهؤلاء تصرفًا خفيًا في الكون ، فيجعل لهم حظًّا من الربوبية ، قال اللَّه تعالى : ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢] .

الثالث : الاستغاثة بالأحياء العالمين القادرين على الإغاثة ، فهذا جائز كالاستعانة بهم ، قال اللَّه تعالى في قصة موسى عليه السلام : ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥] .

الرابع : الاستغاثة بحي غير قادر من غير أن يعتقد أن له قوة خفية ؛ مثل أن يستغيث بمشلول على دفع عدو صائل ، فهذا لغو وسخرية بالمستغاث به ؛ فيمنع لهذه العلة ، ولعلة أخرى وهي أنه ربما اغتر بذلك غيره فتوهم أن لهذا المستغاث به – وهو عاجز – أن له قوة خفية ينقذ بها من الشدة .

(١) قوله : « وعرفت » معطوف على « تحققت » الأولى .
وقوله : « عرفت » جواب « فإذا تحققت » وما عطف عليها .

(٢) قرر المؤلف رحمه اللَّه أن التوحيد الذي جاءت به الرسل من اللَّه هو توحيد الألوهية ؛ لأن هؤلاء المشركين الذين بعث فيهم رسول اللَّه ﷺ كانوا يقرون بتوحيد الربوبية ومع هذا استباح النبي ﷺ دماءهم وأموالهم ، على أنهم يعبدون الملائكة وغيرهم مما يعبدونهم من الأولياء والصالحين ، يريدون بذلك أن يقربوهم إلى اللَّه ، وهي كما قال تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] .
فهم مقرون بأن اللَّه هو المقصود ، ولكنهم يقصدون الملائكة وغيرهم ليقربوهم إلى اللَّه ، =

---

[1] أي : وغير القادرين .

وهذا التوحيد هو معنى قولك : « لا إله إلا اللَّه »[١] ، فإن الإله عندهم هو الذي يُقصد لأجل هذه الأمور ، سواء كان مَلَكًا ، أو نبيًّا ، أو وليًّا ، أو شجرة ، أو قبرًا ، أو جنيًّا ، لم يريدوا أن الإله هو الخالق الرازق المدبر ، فإنهم يعلمون أن ذلك للَّه وحده ، كما قدمت لك ، وإنَّما يعنون بالإله ، ما يعني المشركون في زماننا بلفظ « السيد » فأتاهم النبي ﷺ يدعوهم إلى كلمة التوحيد وهي « لا إله إلا اللَّه »[٢] .

والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها[٣] . والكفار الجهال يعلمون : أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو : إفراد اللَّه تعالى بالتعلق به ، والكفر بما يُعْبد من

= ومع ذلك لم يدخلهم في التوحيد .

(١) قوله : وهذا التوحيد هو معنى قولك : « لا إله إلا اللَّه » أي أن التوحيد الذي دعا إليه النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم هو معنى (لا إله إلا اللَّه) أي : لا معبود حق إلا اللَّه عز وجل ، فهم يعلمون أن معناها لا معبود حق إلا اللَّه – عز وجل ، وليس معناها لا خالق ، أو لا رازق ، أو لا مدبر إلا اللَّه ، أو لا قادر على الاختراع إلا اللَّه كما يقوله كثير من المتكلمين ، فإن هذا المعنى لا ينكره المشركون ولا يردونه ، وإنما يردون معنى « لا إله إلا اللَّه » أي لا معبود حق إلا اللَّه كما قال تعالى عنهم : ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ [ص : ٥- ٧] .

(٢) يريد رحمه اللَّه بيان أن المشركين لا يريدون بقول لا إله إلا اللَّه ، أي لا مدبر ولا خالق إلا اللَّه ، لأنهم يعرفون أن ذلك حق ، وإنما ينكرون معناها لا معبود حق إلا اللَّه ، وهذا الذي بدأ به المؤلف وأعاد ، إنما قاله للتأكيد والرد على من يقول : إننا لا نعبد الملائكة أو غيرهم إلا من أجل أن يقربونا إلى اللَّه زلفى ، ولسنا نعتقد أنهم يخلقون أو يرزقون .

(٣) قوله : « من هذه الكلمة » أي قول : (لا إله إلا اللَّه) .

دون الله والبراءة منه ، فإنه لما قال لهم : قولوا : لا إله إلا الله ، قالوا : ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥][١] .

فإذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك[٢] ، فالعجب ممن يدعى الإسلام ، وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفار[٣] ، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني ، والحاذق منهم يظن أن معناها « لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر الأمر إلا الله » ، فلا خير في رجل جهال الكفار

---

(١) هذه الجملة كالتي قبلها يبين فيها – رحمه الله – أن معنى لا إله إلا الله لا معبود حق إلا الله ، وأن المشركين قد فهموا هذا منها ، وعلموا أنه ليس المراد بها مجرد لفظها ، وأن المراد بها لا معبود حق إلا الله ، ولهذا أنكروه مع أنهم لا ينكرون أن الله وحده هو الخالق الرازق .

(٢) أي يعرفون أن معنى لا إله إلا الله : لا معبود حق إلا الله .

(٣) يريد المؤلف رحمه الله أن يبين أن من الناس من يدعى الإسلام ولا يعرفون معنى كلمة « لا إله إلا الله » ؛ حيث يظنون أن المقصود هو التلفظ بحروفها دون معرفة معناها واعتقاده ، ومن الناس من يظن أن المراد بها توحيد الربوبية أي لا خالق إلا الله ، ولا رازق إلا الله . ومن الناس مَن يفسرها بأن المراد بها « إخراج اليقين الصادق عن ذات الأشياء ، وإدخال اليقين الصادق على ذات الله » ، وهذا التفسير باطل لم يعرفه السلف الصالح ، وليس المراد به أن تتيقن بالله عز وجل وتخرج اليقين من غيره لأن هذا لا يمكن ، فإن اليقين ثابت في غير الله ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ [التكاثر : ٦، ٧] ، وتيقن الأشياء الواقعة الحسية المعلومة لا ينافى التوحيد .
ومن الناس مَن يفسرها بأنه « لا معبود إلا الله »[1] وهذا التعريف لا يصح على ظاهره لأن هناك أشياء عبدت من دون الله – عز وجل – .
فيكون هؤلاء أجهل من الجهال الذين بُعث فيهم رسول الله ﷺ ، فإنهم كانوا يعرفون من معناها ما لا يعرفه هؤلاء .

---

[1] ويقصد الشارح رحمه الله تعالى أن معنى لا إله إلا الله إذا كان لا معبود إلا الله ، فهذا غير صحيح ؛ لأنه قد عبدت الشمس و الكواكب والأصنام وغيرها ، ولكن الصواب أن يزاد فيها « لا معبود بحق إلا الله » .

أعلم منه بمعنى « لا إله إلا الله » .

إذا عرفت ما ذكرت لك معرفة قلب[(١)] ، وعرفت الشرك بالله الذي قال الله فيه : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦][(٢)] .

وعرفت دين الله الذي أرسل به الرسل من أولهم إلى آخرهم ، الذي لا يقبل الله من أحد دينا سواه[(٣)] ، وعرفت ما أصبح غالب الناس فيه من الجهل بهذا[(٤)] ، أفادك[(٥)] **فائدتين**[(٦)] :

---

(١) أي عرفت معنى لا إله إلا الله الحقيقي ، وأن معناها « لا معبود حق إلا الله » .

(٢) اختلف أهل العلم رحمهم الله تعالى في هذه الآية هل تشمل كل الشرك أم أنها خاصة بالشرك الأكبر .

فمنهم من قال : تشمل كل شرك ، ولو كان أصغر ، كالحلف بغير الله ، فإن الله لا يغفره .

ومنهم مَن قال : إنها خاصة بالشرك الأكبر فهو الذي لا يغفره الله .

وشيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – اختلف كلامه فمرة قال بالقول الأول ، ومرة قال بالقول الثاني .

وعلى كل حال يجب الحذر من الشرك مطلقًا ؛ لأن العموم يحتمل أن يكون داخلًا فيه الأصغر ؛ لأن قوله : ﴿أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ « أن » وما بعدها في تأويل مصدر تقديره « إشراكًا به » ، فهو نكرة في سياق النفي فتفيد العموم .

(٣) وهو عبادة الله وحده كما قال تعالى : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] . وهذا هو الإسلام الذي قال الله فيه : ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران : ٨٥] .

(٤) أي بمعنى هذه الكلمة مما تقدم ذكره عند قول المؤلف رحمه الله : « فالعجب ممن يدعى الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ... » إلخ .

(٥) قوله : « أفادك » جواب قوله : « إذا عرفت ما ذكرت لك .. » إلخ .

(٦) يحصل ذلك من **وجهين** :

الوجه الأول : أن الله تعالى فتح عليك حتى عرفت المعنى الصحيح لهذه الكلمة العظيمة « لا إله إلا الله » ، وهذا فضل عظيم من الله ورحمة ، والفرح بمثل هذا مما أمر الله به ، =

الأولى: الفرح بفضل الله ورحمته، كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

وأفادك أيضًا الخوف العظيم(١)، فإنك إذا عرفت: أن الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه – وقد يقولها وهو جاهل – فلا يُعذر بالجهل(٢).

= ودليله ما ذكره المؤلف رحمه الله: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]، وفرح العبد بما أنعم الله عليه من العلم والعبادة من الأمور المحمودة كما جاء في الحديث: «للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه»[1].

(١) أي من أن تقع في مثل ما وقع فيه هؤلاء من الجهل بمعناها والخطر العظيم في ذلك.

(٢) تعليقنا على هذه الجملة من كلام المؤلف رحمه الله:

أولًا: لا أظن الشيخ رحمه الله لا يرى العذر بالجهل، اللهم إلا أن يكون منه[2] تفريط بترك التعلم، مثل أن يسمع بالحق فلا يلتفت إليه ولا يتعلم، فهذا لا يعذر بالجهل، وإنما لا أظن ذلك من الشيخ لأن له كلامًا آخر يدل على العذر بالجهل؛ فقد سئل رحمه الله تعالى عما يقاتل عليه؟ وعما يكفر الرجلُ به؟

فأجاب: أركان الإسلام الخمسة، أولها الشهادتان، ثم الأركان الأربعة؛ فالأربعة: إذا أقر بها، وتركها تهاونًا، فنحن وإن قاتلناه على فعلها، فلا نكفره بتركها؛ والعلماء اختلفوا في كفر التارك لها كسلًا من غير جحود؛ ولا نكفر إلا ما أجمع عليه العلماء كلهم، وهو: الشهادتان.

وأيضًا: نكفره بعد التعريف إذا عرف وأنكر، فنقول: أعداؤنا معنا على أنواع:

النوع الأول: من عرف أن التوحيد دين الله ورسوله، الذي أظهرناه للناس؛ وأقر أيضًا: أن هذه الاعتقادات في الحجر والشجر والبشر، الذي هو دين غالب الناس: أنه الشرك بالله الذي بعث الله رسوله ﷺ ينهى عنه، ويقاتل أهله، ليكون الدين كله لله، ومع ذلك لم يلتفت إلى التوحيد، ولا تعلمه، ولا دخل فيه، ولا ترك الشرك، فهو كافر، نقاتله بكفره، =

---

[1] **متفق عليه**: البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١) من حديث أبي هريرة.

[2] يقصد الشارح بقوله: «إلا أن يكون منه تفريط ...» أي من الذي وقع في الجهل، فالضمير يعود على من وقع في الجهل، ولا يعود على صاحب المتن، فتنبه!

....

= لأنه عرف دين الرسول ، فلم يتبعه ، وعرف الشرك فلم يتركه ، مع أنه لا يبغض دين الرسول ، ولا من دخل فيه ، ولا يمدح الشرك ، ولا يزينه للناس .

النوع الثاني : من عرف ذلك ، ولكنه تبين في سب دين الرسول ، مع ادعائه أنه عامل به ، وتبين في مدح من عبد يوسف ، والأشقر ، ومن عبد أبا علي ، والخَضِر من أهل الكويت ، وفضلهم على من وحد الله ، وترك الشرك ، فهذا أعظم من الأول ، وفيه قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩] ، وهو ممن قال الله فيه : ﴿وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢]

النوع الثالث : من عرف التوحيد ، وأحبه ، واتبعه ، وعرف الشرك ، وتركه ، ولكن يكره من دخل في التوحيد ، ويحب من بقي على الشرك ، فهذا أيضًا كافر ، فيه قوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٩] .

النوع الرابع : من سلم من هذا كله ، ولكن أهل بلده يصرحون بعداوة أهل التوحيد ، واتباع أهل الشرك ، وساعين في قتالهم ، ويتعذر بأنّ تَرْكَ وطنه يشق عليه ، فيقاتل أهل التوحيد مع أهل بلده ، ويجاهد بماله ونفسه ، فهذا أيضًا كافر ؛ فإنهم لو يأمرونه بترك صوم رمضان ، ولا يمكنه الصيام إلا بفراقهم فعل ؛ ولو يأمرونه بتزوج امرأة أبيه ولا يمكنه ذلك إلا بفراقهم فعل ؛ وموافقتهم على الجهاد معهم بنفسه وماله مع أنهم يريدون بذلك قطع دين الله ورسوله أكبر من ذلك بكثير ، كثير ؛ فهذا أيضًا كافر ، وهو ممن قال الله فيهم : ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ﴾ إلى قوله : ﴿سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ٩١] فهذا الذي نقول .

وأما الكذب والبهتان فمثل قولهم : إنَّا نُكَفِّر بالعموم ، ونوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه ، وإنَّا نُكَفِّر من لم يُكفِّر ، ومن لم يقاتل ، ومثل هذا وأضعاف أضعافه ؛ فكل هذا من الكذب والبهتان ، الذي يصدون به الناس عن دين الله ورسوله .

وإذا كنا : لا نكفر من عبد الصنم الذي على عبد القادر ، والصنم الذي على قبر أحمد البدوي ، وأمثالهما ، لأجل جهلهم ، وعدم من ينبههم ، فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا ، أو لم يكفر ويقاتل ؟ ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦] . =

....

= بل نُكَفِّر تلك الأنواع الأربعة ، لأجل محادتهم لله ورسوله ، فرحم الله امرءًا نظر نفسه ، وعرف أنه ملاق الله ، الذي عنده الجنة والنار ؛ وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

● تتـمـة :

الاختلاف في مسألة العذر بالجهل كغيره من الاختلافات الفقهية الاجتهادية ، وربما يكون اختلافًا لفظيا في بعض الأحيان ، من أجل تطبيق الحكم على الشخص المعين ، أي أن الجميع يتفقون على أن هذا القول كفر ، أو هذا الفعل كفر ، أو هذا الترك كفر ، ولكن هل يصدق الحكم على هذا الشخص المعين لقيام المقتضى في حقه وانتفاء المانع أو لا ينطبق لفوات بعض المقتضيات ، أو وجود بعض الموانع . وذلك أن الجهل بالمكفر على نوعين :

الأول : أن يكون من شخص يدين بغير الإسلام ، أو لا يدين بشيء ، ولم يكن يخطر بباله أن دِينًا يخالف ما هو عليه ، فهذا تجري عليه أحكام الظاهر في الدنيا ، وأما في الآخرة فأمره إلى الله تعالى .

والقول الراجح : أنه يمتحن في الآخرة بما يشاء الله – عز وجل – والله أعلم بما كانوا عاملين ، لكننا نعلم أنه لن يدخل النار إلا بذنب لقوله تعالى : ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] .

وإنما قلنا تجرى عليه أحكام الظاهر في الدنيا ، وهي أحكام الكفر ؛ لأنه لا يدين بالإسلام ، فلا يمكن أن يعطى حكمه ، وإنما قلنا بأن الراجح أنه يمتحن في الآخرة لأنه جاء في ذلك آثار كثيرة ذكرها ابن القيم – رحمه الله تعالى – في كتابه « طريق الهجرتين » عند كلامه على المذهب الثامن في أطفال المشركين تحت الكلام على الطبقة الرابعة عشرة[1] .

النوع الثاني : أن يكون من شخص يدين بالإسلام ، ولكنه عاش على هذا المكفر ، ولم يكن يخطر بباله أنه مخالف للإسلام ، ولا نبهه أحد على ذلك ، فهذا تجرى عليه أحكام الإسلام ظاهرًا ، أما في الآخرة فأمره إلى الله عز وجل ، وقد دل على ذلك الكتاب ، والسنة ، وأقوال أهل العلم :

فمن أدلة الكتاب : قوله تعالى : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] ، =

---

[1] « طريق الهجرتين » (ص٣٦٩) ، وأقوم الآن على تحقيقه ، أسأل الله تعالى بمنه وكرمه التوفيق في ذلك .

....

= وقوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [القصص: ٥٩]، وقوله: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٤]. وقوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة: ١١٥]، وقوله: ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ۝ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ [الأنعام: ١٥٥- ١٥٧] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الحجة لا تقوم إلا بعد العلم والبيان.

وأما السنة: ففي «صحيح مسلم» (١/١٣٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة – يعني أمة الدعوة – يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»[1].

وأما كلام أهل العلم: فقال في المغني (٨/١٣١): «فإن كان ممن لا يعرف الوجوب كحديث الإسلام، والناشئ بغير دار الإسلام، أو بادية بعيدة عن الأمصار، وأهل العلم لم يحكم بكفره»[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (٣/٢٢٩ – مجموع ابن قاسم): «إني دائمًا – ومن جالسني يعلم ذلك مني – من أعظم الناس نهيًا عن أن ينسب معين إلى تكفير، وتفسيق، ومعصية، إلا إذا عُلِمَ أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافرًا تارة، وفاسقًا أخرى، وعاصيًا أخرى، وإني أقرر أن الله تعالى قد غفر لهذه الأمة خطأها، وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية، والمسائل العملية، وما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل، ولم يشهد أحد منهم على أحد لا بكفر، ولا بفسق، =

---

[1] أخرجه مسلم (١٥٣).

[2] (١٠/٨٢) مسألة: أحكام تارك الصلاة، وكفر من تركها جاحدًا.

....

= ولا بمعصية – إلى أن قال – : وكنت أبين أن ما نقل عن السلف والأئمة من إطلاق القول بتكفير من يقول كذا وكذا فهو أيضًا حق ، لكن يجب التفريق بين الإطلاق والتعيين – إلى أن قال – والتكفير هو من الوعيد ، فإنه وإن كان القول تكذيبًا لما قاله الرسول ﷺ ، لكن الرجل قد يكون حديث عهد بإسلام ، أو نشأ ببادية بعيدة ، ومثل هذا لا يكفر بجحد ما يجحده حتى تقوم عليه الحجة ، وقد يكون الرجل لم يسمع تلك النصوص أو سمعها ولم تثبت عنده ، أو عارضها عنده معارض آخر أوجب تأويلها ، وإن كان مخطئًا » . اهـ .

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب (٥٦/١) من « الدرر السنية » : « وأما التكفير فأنا أُكفر من عرف دين الرسول ، ثم بعدما عرفه سبه ، ونهى الناس عنه ، وعادى من فعله فهذا هو الذي أُكفره » .

وفي (ص٦٦) : « وأما الكذب والبهتان فقولهم إنا نُكَفِّرُ بالعموم ونوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه ، فكل هذا من الكذب والبهتان الذي يصدون به الناس عن دين اللّٰه ورسوله ، وإذا كنا لا نُكَفر من عبد الصنم الذي على عبد القادر والصنم الذي على أحمد البدوي وأمثالهما لأجل جهلهم ، وعدم من ينبههم ، فكيف نُكَفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا أو لم يكفر ويقاتل » . اهـ .

وإذا كان هذا مقتضى نصوص الكتاب ، والسنة ، وكلام أهل العلم ؛ فهو مقتضى حكمة اللّٰه تعالى ، ولطفه ورأفته ، فلن يعذب أحدًا حتى يعذر إليه ، والعقول لا تستقل بمعرفة ما يجب للّٰه تعالى من الحقوق ، ولو كانت تستقل بذلك لم تتوقف الحجة على إرسال الرسل .

فالأصل فيمن ينتسب للإسلام بقاء إسلامه حتى يتحقق زوال ذلك عنه بمقتضى الدليل الشرعي ، ولا يجوز التساهل في تكفيره لأن في ذلك **محذورين عظيمين** :

أحدهما : افتراء الكذب على اللّٰه تعالى في الحكم ، وعلى المحكوم عليه في الوصف الذي نبزه به .

أما الأول : فواضح حيث حكم بالكفر على من لم يُكفره اللّٰه تعالى فهو كمن حرم ما أحل اللّٰه ؛ لأن الحكم بالتكفير أو عدمه إلى اللّٰه وحده كالحكم بالتحريم أو عدمه .

وأما الثاني : فلأنه وصف المسلم بوصف مضاد ، فقال : إنه كافر ، مع أنه برىء من ذلك ، وحري به أن يعود وصف الكفر عليه لما ثبت في « صحيح مسلم » عن عبد اللّٰه بن عمر – =

....

= رضى اللّٰه عنهما – أن النبي ﷺ قال : « إذا كفَّر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما » . وفى رواية : « إن كان كما قال و إلا رجعت عليه »[1] . وله من حديث أبى ذر – رضى اللّٰه عنه – أن النبي ﷺ قال : « ومن دعا رجلًا بالكفر ، أو قال : عدو اللّٰه وليس كذلك إلا حار عليه »[2] . يعني رجع عليه . وقوله في حديث ابن عمر : « إن كان كما قال » يعني في حكم اللّٰه تعالى ، وكذلك قوله في حديث أبي ذر : « وليس كذلك » يعني في حكم اللّٰه تعالى . وهذا هو **المحذور الثاني** : أعني عود وصف الكفر عليه إن كان أخوه بريئًا منه ، وهو محذور عظيم يوشك أن يقع به ؛ لأن الغالب أن من تسرع بوصف المسلم بالكفر كان معجبًا بعمله محتقرًا لغيره فيكون جامعًا بين الإعجاب بعمله الذي قد يؤدي إلى حبوطه ، وبين الكبر الموجب لعذاب اللّٰه – تعالى – في النار ، كما جاء في الحديث الذي أخرجه أحمد وأبو داود عن أبي هريرة – رضي اللّٰه عنه – أن النبي ﷺ قال : « قال اللّٰه عز وجل : الكبرياء ردائي ، والعظمة إزاري ، فمن نازعني واحدًا منهما قذفته في النار »[3] .

فالواجب قبل الحكم بالتكفير أن ينظر في أمرين :

الأمر الأول : دلالة الكتاب والسنة على أن هذا مكفّر ؛ لئلا يُفْترى على اللّٰه الكذب .

الثاني : انطباق الحكم على الشخص المعين بحيث تتم شروط التكفير في حقه ، وتنتفي الموانع .
=

[1] **متفق عليه** : البخاري (٦١٠٤) ، ومسلم (٦٠) واللفظ له ، والرواية لمسلم أيضًا .

[2] أخرجه مسلم (٦١) ، وأخرجه البخاري (٦٠٤٥) بلفظ : « لا يرمي رجل رجلًا بالفسوق ، ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه ، إن لم يكن صاحبه كذلك » .

[3] **صحيح** : أخرجه أبو داود (٤٠٩٠) ، وابن ماجه (٤١٧٤) ، وأحمد (٢/٢٤٨، ٣٧٦، ٤٢٧، ٤٤٢) ، والطيالسي (٢٣٨٧) ، وابن حبان (٣٢٩، ٥٦٧١– إحسان) من طرق عن عطاء بن السائب ، عن الأغر ، عن أبي هريرة . وقد اختلف على عطاء في إسناده ، ورجح الدارقطني في « العلل » (٨/٢٨٩) طريق الأغر عن أبي هريرة . وله شاهد عند مسلم (٢٦٢٠) من طريق الأعمش عن أبي إسحاق ، عن الأغر ، عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري بلفظ : « العز إزاره ، والكبرياء رداؤه ، فمن ينازعني عذبته » . وانظر « السلسلة الصحيحة » (٥٤١) .

تنبيه : كنت قد خرجت الحديث في تحقيقي . لكتاب « الداء والدراء » (ص١٩٧–طبعة دارطيبة) بلفظ : « يقول اللّٰه عز وجل : العظمة إزاري ، والكبرياء ردائي ، فمن نازعني واحدًا منهما عذبته » وعزاه بن القيم للصحيح ، وقلت خرجه مسلم ، وهذا ليس لفظ مسلم ، فليصحح من هنا .

....

= ومن أهم الشروط أن يكون عالمًا بمخالفته التى أوجبت كفره ؛ لقوله تعالى : ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النّساء: ١١٥] ، فاشترط للعقوبة بالنار أن تكون المشاقة للرسول من بعد أن يتبين الهدى له . ولكن هل يشترط أن يكون عالمًا بما يترتب على مخالفته من كفر أو غيره ، أو يكفي أن يكون عالمًا بالمخالفة وإن كان جاهلًا بما يترتب عليها ؟

الجواب : الثاني ؛ أي أن مجرد علمه بالمخالفة كافٍ في الحكم بما تقتضيه ؛ لأن النبي ﷺ أوجب الكفارة على المجامع في نهار رمضان لعلمه بالمخالفة مع جهله بالكفارة[1] ؛ ولأن الزاني المحصن العالم بتحريم الزنا يرجم وإن كان جاهلًا بما يترتب على زناه ، وربما لو كان عالمًا ما زنى .

ومن الموانع من التكفير : أن يكره على المكفر ؛ لقوله تعالى : ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النّحل: ١٠٦] .

ومن الموانع أن يغلق عليه فكره وقصده ، بحيث لا يدرى ما يقول لشدة فرح ، أو حزن ، أو غضب ، أو خوف ونحو ذلك ؛ لقوله تعالى : ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَـٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥] .

وفى « صحيح مسلم » (٢١٠٤) عن أنس بن مالك – رضى اللّه عنه – أن النبي ﷺ قال : « لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة ، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه ، فأيس منها ، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته ، فبينما هو كذلك إذا بها قائمة عنده ، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدى ، وأنا ربك ، أخطأ من شدة الفرح »[2] .

ومن الموانع أيضًا أن يكون له شبهة تأويل في الكفر ، بحيث يظن أنه علي حق ؛ لأن هذا لم يتعمد الإثم والمخالفة فيكون داخلًا في قوله تعالي : ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ =

---

[1] **متفق عليه** : البخاري (١٩٣٦) ، ومسلم (١١١٢) من حديث أبي هريرة .

[2] **متفق عليه** : البخاري (٦٣٠٩) مختصرًا ، ومسلم (٢٧٤٧) واللفظ له .

....

= ﴿أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥].
ولأن هذا غاية جهده فيكون داخلًا في قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

قال في « المغني » (٨/ ١٣١): « وإن استحل قتل المعصومين وأخذ أموالهم بغير شبهة ولا تأويل فكذلك - يعني يكون كافرًا - وإن كان بتأويل كالخوارج فقد ذكرنا أن أكثر الفقهاء لم يحكموا بكفرهم مع استحلالهم دماء المسلمين وأموالهم، وفعلهم ذلك متقربين به إلى الله تعالى »، إلى أن قال: « وقد عرف من مذهب الخوارج تكفير كثير من الصحابة ومن بعدهم واستحلال دمائهم، وأموالهم، واعتقادهم التقرب بقتلهم إلى ربهم، ومع هذا لم يحكم الفقهاء بكفرهم لتأويلهم، وكذلك يخرج في كل محرم استحل بتأويل مثل هذا »[1]. وفي « فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية » (١٣/ ٣٠) « مجموع ابن قاسم »: « وبدعة الخوارج إنما هي من سوء فهمهم للقرآن، لم يقصدوا معارضته، لكن فهموا منه ما لم يدل عليه، فظنوا أنه يوجب تكفير أرباب الذنوب ». وفي (ص ٢١٠) منه: « فإن الخوارج خالفوا السنة التي أمر القرآن باتباعها، وكفَّروا المؤمنين الذين أمر القرآن بموالاتهم، وصاروا يتبعون المتشابه من القرآن؛ فيتأولونه علي غير تأويله من غير معرفة منهم بمعناه ولا رسوخ في العلم، ولا اتباع للسنة، ولا مراجعة لجماعة المسلمين الذين يفهمون القرآن »، وقال أيضًا (٢٨/ ٥١٨) من « المجموع المذكور »: « فإن الأئمة متفقون علي ذم الخوارج وتضليلهم، وإنما تنازعوا في تكفيرهم علي قولين مشهورين »، لكنه ذكر في (٧/ ٢١٧): « أنه لم يكن في الصحابة من يكفرهم لا علي بن أبي طالب ولا غيره، بل حكموا فيهم بحكمهم في المسلمين الظالمين المعتدين، كما ذكرت الآثار عنهم بذلك في غير هذا الموضع ».

وفي (٢٨/ ٥١٨): « أن هذا هو المنصوص عن الأئمة كأحمد وغيره ».

وفي (٣/ ٢٨٢) قال: « والخوارج المارقون الذين أمر النبي ﷺ بقتالهم؛ قاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أحد الخلفاء الراشدين، واتفق على قتالهم أئمة الدين من =

[1] المغني (١٠/ ٨٣- دار الفكر) فصل: حكم من اعتقد حل شيء مجمع على تحريمه.

....

= الصحابة ، والتابعين ، ومن بعدهم ، ولم يكفرهم علي بن أبي طالب ، وسعد بن أبي وقاص ، وغيرهما من الصحابة ، بل جعلوهم مسلمين مع قتالهم ، ولم يقاتلهم علي حتى سفكوا الدم الحرام ، وأغاروا علي أموال المسلمين ، فقاتلهم لدفع ظلمهم وبغيهم ، لا لأنهم كفار ، ولهذا لم يَسْب حريمهم ، ولم يغنم أموالهم ، وإذا كان هؤلاء الذين ثبت ضلالهم بالنص والإجماع ، لم يَكْفروا مع أمر الله ورسوله ﷺ بقتالهم فكيف بالطوائف المختلفين الذين اشتبه عليهم الحق في مسائل غلط فيها من هو أعلم منهم ؟ فلا يحل لأحد من هذه الطوائف أن تُكَفر الأخرى ، ولا تستحل دمها ومالها ، وإن كانت فيها بدعة محققة ، فكيف إذا كانت المُكَفرة لها مبتدعة أيضًا ؟ وقد تكون بدعة هؤلاء أغلظ ، والغالب أنهم جميعًا جهال بحقائق ما يختلفون فيه » . إلى أن قال : « وإذا كان المسلم متأولًا في القتال ، أو التكفير لم يَكْفر بذلك » .

إلى أن قال في (ص ٢٨٨) : « وقد اختلف العلماء في خطاب الله ورسوله هل يثبت حكمه في حق العبيد قبل البلاغ ، علي ثلاثة أقوال في مذهب أحمد وغيره . والصحيح ما دل عليه القرآن في قوله - تعالى - : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] ، وقوله : ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء : ١٦٥] . وفى الصحيحين عن النبي ﷺ : « ما أحد أحب إليه العذر من الله ، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين »[1] .

والحاصل أن الجاهل معذور بما يقوله أو يفعله مما يكون كفرًا ، كما يكون معذورًا بما يقوله أو يفعله مما يكون فسقًا ، وذلك بالأدلة من الكتاب والسنة ، والاعتبار ، وأقوال أهل العلم .

[1] **متفق عليه** : البخاري (٧٤١٦) ، ومسلم (١٤٩٩) ، من حديث المغيرة بن شعبة ، واللفظ لابن أبي عاصم في « السنة » (٥٢٢) ، وعبد بن حميد (٣٩٢) بلفظ : « ولا شخص أحب إليه العذر من الله عز وجل ... » ، ولفظ البخاري : « ولا أحد أحب إليه العذر من الله ، ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين » ، ولفظ مسلم : « ولا شخص أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك بعث المرسلين مبشرين ومنذرين » .

وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه إلى الله ، كما كان يظن المشركون ، خصوصًا إن ألهمك الله ما قص عن قوم موسى مع صلاحهم وعلمهم أنهم أتوه قائلين : ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨] ، فحينئذٍ يعظم خوفك وحرصك على ما يخلصك من هذا وأمثاله[1] .

---

(١) حينما حذر الشيخ رحمه الله من أمرين :

أحدهما : خوف الإنسان على نفسه من أن يظن ما ظن هؤلاء في معنى التوحيد أنه هو إفراد الله تعالى بالخلق والرزق والتدبير ، بيّن رحمه الله أن الواجب على الإنسان أن يكون على خوف دائمًا ، ثم يذكر حال القوم الذين قالوا لموسى : ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف : ١٣٨، ١٣٩] .

فبين لهم أن سؤالهم أن يجعل لهم آلهة كما كان هؤلاء لهم آلهة من الجهل ، فهذا يؤدي إلى خوف الإنسان على نفسه من أن يتيه في الضلالات والجهالات ، حيث يظن أن معنى (لا إله إلا الله) أي لا خالق ولا رازق ولا مدبر إلا الله – عز وجل –، وهذا الذي قاله الشيخ – رحمه الله – وحذر منه وقع فيه عامة المتكلمين الذين تكلموا في التوحيد ، حيث قالوا : إن معنى « لا إله إلا الله » أي لا مخترع ولا قادر على الاختراع إلا الله ، ففسروا هذه الكلمة العظيمة بتفسير باطل لم يفهمه أحد من المسلمين ، بل ولا غير المسلمين حتى المشركون الذين بُعث فيهم رسول الله ﷺ كانوا يعرفون معنى هذه الكلمة أكثر مما يعرفها هؤلاء المتكلمون .

واعلم أن الله سبحانه من حكمته لم يبعث نبيًا بهذا التوحيد إلا جعل له أعداءً كما قال تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢](١) .

---

(١) نبه المؤلف رحمه الله تعالى في هذه الجملة على فائدة عظيمة ؛ حيث بيّن أن من حكمة الله عز وجل أنه لم يبعث نبيًا إلا جعل له أعداء من الإنس والجن ، وذلك أن وجود العدو يمحص الحق ويبينه ، فإنه كلما وجد المعارض قويت حجة الآخر ، وهذا الذي جعله الله تعالى للأنبياء جعله أيضًا لأتباعهم ، فكل اتباع الأنبياء يحصل لهم مثل ما يحصل للأنبياء ، قال الله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢] ، وقال : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١] ، فإن هؤلاء المجرمين يعتدون على الرسل وأتباعهم وعلى ما جاءوا به **بأمرين** :

الأول : التشكيك .

الثاني : العدوان .

أما التشكيك فقال الله تعالى في مقابلته : ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا﴾ لمن أراد أن يضله أعداء الأنبياء .

وأما العدوان فقال الله تعالى في مقابلته : ﴿وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١] لمن أراد أن يردعه أعداء الأنبياء .

فالله تعالى يهدى الرسل وأتباعهم وينصرهم على أعدائهم ولو كانوا من أقوى الأعداء ، فعلينا أن لا نيأس لكثرة الأعداء وقوة من يقاوم الحق ، فإن الحق كما قال ابن القيم رحمه الله[1] :

الحَقُّ مَنْصُورٌ ومُمْتَحَنٌ فَلَا تَعْجَبْ فَهَذِي سُنَّةُ الرَّحْمَنِ

فلا يجوز لنا أن نيأس ، بل علينا أن نطيل النفس وأن ننتظر وستكون العاقبة للمتقين ، فالأمل دافع قوي للمضي في الدعوة والسعي في إنجاحها ، كما أن اليأس سبب للفشل والتأخر في الدعوة .

---

[1] انظر «شرح القصيدة النونية» (١٢٤/١) لأحمد بن عيسى .

وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة ، وكتب وحجج ، كما قال الله تعالى : ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [غافر: ٨٣][(١)] .

إذا عرفت ذلك ، وعرفت أن الطريق إلى الله لابد له من أعداء قاعدين عليه ، أهل فصاحة وعلم وحجج ، فالواجب عليك أن تتعلم من دين الله ما يصير لك سلاحًا ، تقاتل به هؤلاء الشياطين ، الذين قال إمامهم ومقدمهم لربك عز وجل ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف : ١٦، ١٧][(٢)] .

---

(١) يعني أن أعداء الرسل الذين يجادلونهم ويكذبونهم قد يكون عندهم علوم كثيرة وكتب وشبهات يسمونها « حججًا » ، يُلَبسون بها على الناس ، فيلبسون الحق بالباطل كما قال تعالى : ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [غافر: ٨٣] وهذا الفرح مذموم ؛ لأنه فرح بغير ما يرضي الله فيكون من الفرح المذموم .

وأشار المؤلف رحمه الله تعالى بهذه الجملة إلى أنه ينبغي أن نعرف ما عند هؤلاء من العلوم والشبهات من أجل أن نرد عليهم بسلاحهم ، وهذا من هدي النبي ﷺ ؛ ولهذا لما بعث معاذًا إلى اليمن قال له : « إنك تأتى قومًا أهل كتاب »[1] . وذلك من أجل أن يستعد لهم ويعرف ما عندهم من الكتاب حتى يرد عليهم بما جاءوا به .

(٢) إذا عرفت هذا أي أن لهؤلاء الأعداء كتبًا وعلومًا وحججًا يلبسون بها الحق بالباطل ، فعليك أن تستعد لهم ، والاستعداد لهم يكون **بأمرين** :

أحدهما : ما أشار إليه المؤلف رحمه الله بأن يكون لديك من الحجج الشرعية والعقلية ما تدفع به حجج هؤلاء و باطلهم .

الثاني : أن تعرف ما عندهم من الباطل حتى ترد عليهم به ؛ ولهذا قال شيخ الإسلام رحمه الله في كتابه « درء تعارض العقل والنقل » ، قال : « إنه ما من إنسان يأتى بحجة يحتج بها على الباطل إلا كانت حجة عليه وليست حجة له » . وهذا الأمر كما قال رحمه الله ؛ =

---

[1] **متفق عليه** : البخاري (١٤٩٦) ، ومسلم (١٩) من حديث ابن عباس .

ولكن إذا أقبلت على اللّه ، وأصغيت إلى حججه وبيّناته ، فلا تخف ولا تحزن ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النّساء: ٧٦][(١)] .

والعامي من المُوَحِّدين يغلب ألفًا من علماء هؤلاء المشركين ، كما قال تعالى : ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصّافات: ١٧٣][(٢)] .

= فإن الحجة الصحيحة إذا احتج بها المبطل على باطله ؛ فإنها تكون حجة عليه وليست حجة له ، فعلى من أراد أن يجادل هؤلاء يتأكد أن يلاحظ هذين **الأمرين** :

الأمر الأول : أن يفهم ما عندهم من العلم حتى يرد عليهم به .

والأمر الثاني : أن يفهم الحجج الشرعية والعقلية التى يرد بها على هؤلاء .

(١) يريد المؤلف رحمه اللّه أن يشجع من أقبل على اللّه تعالى وعرف الحق بأن لا يخاف من حجج أهل الباطل ؛ لأنها حجج واهية وهي من كيد الشيطان ، وقد قال اللّه تعالى : ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النّساء: ٧٦] .

وفى ذلك يقول القائل : [الكامل]

حُجَجٌ تَهَافَتُ كالزُّجَاجِ تَخَالُهَا حقًّا وَكُلٌّ كاسِرٌ مَكْسُورُ[1]

(٢) قال الشيخ رحمه اللّه تعالى : « والعامي من الموحدين يغلب ألفًا من علماء هؤلاء المشركين » ، واستدل بقوله تعالى : ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ ، العامي من الموحدين ، يعني من الذين يقرون بالتوحيد بأنواعه الثلاثة (الألوهية ، والربوبية ، والأسماء والصفات) ، يغلب ألفًا من علماء المشركين ؛ لأن علماء هؤلاء المشركين يوحدون اللّه – عز وجل – توحيدًا ناقصًا ، حيث إنهم لا يوحدونه إلا بتوحيد الربوبية فقط ، وهذا توحيد ناقص ليس هو توحيدًا في الحقيقة ، بدليل أن النبي ﷺ قاتل المشركين الذي يوحدون اللّه هذا التوحيد ، ولم ينفعهم هذا التوحيد ولم تعصم به دماؤهم وأموالهم ، والعامي من الموحدين يقر بأنواع التوحيد الثلاثة ؛ توحيد الربوبية ، والألوهية ، والأسماء والصفات ، فيكون خيرًا من هؤلاء .

---

[1] قال شيخ الإسلام في « مجموع الفتاوى » (٢٨/٤) : « ولهذا أنشد الخطابي ... » فذكره ، وبعضهم يذكره بلفظ : « شبه تهافت ... » .

فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان، كما أنهم الغالبون بالسيف والسنان[١]، وإنّما الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح[٢].

---

(١) أشار المؤلف رحمه الله إلى أن جند الله وهم عباده المؤمنون الذين ينصرون الله ورسوله يجاهدون الناس بأمرين:

الأول: الحجة والبيان، وهذا بالنسبة للمنافقين الذين لا يظهرون عداوة المسلمين، فهؤلاء يجاهَدون بالحجة والبيان.

الثاني: من يُجَاهَدُ بالسيف والسنان وهم المظهرون للعداوة وهم الكفار الخُلَّص المعلنون بكفرهم، وفي هذا والذي قبله يقول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣، التحريم: ٩].

والجهاد بالحجة والبيان يكون للكفار الخُلَّص المعلنين لكفرهم أولًا، ثم يجاهَدون بالسيف والسنان ثانيًا، ولا يجاهَدون بالسيف والسنان إلا بعد قيام الحجة عليهم.

والواجب على الأمة الإسلامية أن تقابل كل سلاح يصوب نحو الإسلام بما يناسبه، فالذين يحاربون الإسلام بالأفكار والأقوال يجب أن يبيِّن بطلان ما هم عليه بالأدلة النظرية العقلية إضافة إلى الأدلة الشرعية، والذين يحاربون الإسلام من الناحية الاقتصادية يجب أن يُدافَعوا، بل أن يهاجموا إذا أمكن، بمثل ما يحاربون به الإسلام، والذين يحاربون الإسلام بالأسلحة يجب أن يقاوَموا بما يناسب تلك الأسلحة.

(٢) أي أن الخوف من أعداء الأنبياء إنما هو على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح؛ لأنه ليس له علم يتسلح به، فيخشى أن يجادله أحد من هؤلاء المشركين فتضيع حجته فيهلك، فلابد أن يكون عند الإنسان علم يدفع به الشبهات ويفحم به الخصم؛ لأن المجادل يحتاج إلى أمرين:

الأول: إثبات دليل قوله.

الثاني: إبطال دليل خصمه.

ولا سبيل إلى ذلك إلا بمعرفة ما هو عليه من الحق، وما عليه خصمه من الباطل ليتمكن من دحض حجته.

وقد منّ الله تعالى علينا بكتابه الذي جعله : ﴿ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩][1] .

فلا يأتى صاحب باطل بحجة إلا وفى القرآن ما ينقضها ويبيّن بطلانها ، كما

---

(١) منّ الله علينا بكتابه العزيز الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصّلت: ٤٢] ، وجعله سبحانه وتعالى تبيانًا أي مبينًا لكل شيء يحتاجه الناس في معاشهم ومعادهم ثم إن تبيان القرآن للأشياء ينقسم إلى **قسمين** :

الأول : أن يبين الشيء بعينه مثل قوله تبارك وتعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ ﴾ [المائدة: ٣] ، وقوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّـٰتُكُمْ وَخَـٰلَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَـٰتُكُمُ ٱلَّـٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَـٰعَةِ وَأُمَّهَـٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ ٱلَّـٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّـٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَـٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَـٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۖ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ ﴾ [النساء: ٢٣، ٢٤] .

الثاني : أن يكون التبيان بالإشارة إلى موضع البيان ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ [النساء: ١١٣] . فأشار الله تعالى إلى الحكمة التى هي السنة ، فإنها تبين القرآن ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤٣] وأيضًا [الأنبياء : ٧] .

فهذا يبين أننا نرجع في كل شيء إلى أهله الذين هم أهل الذكر به ، ولهذا يُذْكر أن بعض أهل العلم أتاه رجل من النصارى يريد الطعن في القرآن الكريم – وكان في مطعم – فقال له هذا النصراني : أين بيان كيف يصنع هذا الطعام ؟ فدعا الرجل صاحب المطعم وقاله له : صف لنا كيف تصنع هذا الطعام ؟ فوصفه ، فقال : هكذا جاء في القرآن فتعجب النصراني وقال : كيف ذلك ؟ فقال : إن الله عز وجل يقول : ﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنبياء : ٧] ، فبيّن لنا مفتاح العلم بالأشياء بأن نسأل أهل الذكر بها أي أهل العلم به ، وهذا من بيان القرآن بلا شك ، فالإحالة على من يحصل بهم العلم هي فتح للعلم .

قال تعالى : ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣][(١)] .

قال بعض المفسرين : هذه الآية عامة فى كل حجة ، يأتى بها أهل الباطل إلى يوم القيامة ، وأنا أذكر لك أشياء مما ذكر اللَّه فى كتابه جوابًا لكلام احتج به المشركون فى زماننا علينا [(٢)] .

فنقول : جواب أهل الباطل من طريقين ؛ مجمل ، ومفصَّل .

---

(١) لا يأتي مبطل بحجة على باطله إلا وفى القرآن ما يبين هذه الحجة الباطلة ، بل إن كل صاحب باطل استدل لباطله بدليل صحيح من الكتاب والسنة ؛ فهذا الدليل يكون دليلًا عليه كما ذكر شيخ الإسلام رحمه اللَّه تعالى في مقدمة كتابه « درء تعارض العقل والنقل » أنه ما من صاحب بدعة وباطل يحتج لباطله بشيء من الكتاب أو من السنة الصحيحة إلا كان ذلك الدليل دليلًا عليه وليس دليلًا له .

(٢) قال المؤلف رحمه اللَّه مستدلًّا على أن الرجل الموحد ستكون له حجة أبلغ وأبين من حجة غير الموحد مهما بلغ من الفصاحة والبيان كما قال تعالى : ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ ، أي لا يأتونك بمثل يجادلونك به ويلبسون الحق بالباطل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرًا ؛ ولهذا تجد في القرآن كثيرًا ما يجيب اللَّه تعالى عن أسئلة هؤلاء المشركين وغيرهم ؛ ليبين عز وجل للناس الحق وسيكون الحق بينًا لكل أحد .

ولكن هاهنا أمر يجب التفطن له وهو : أنه لا ينبغي للإنسان أن يدخل في مجادلة أحد إلا بعد أن يعرف حجته ويكون مستعدًّا لدحرها والجواب عنها ، لأنه إذا دخل في غير معرفة صارت العاقبة عليه ، إلا أن يشاء اللَّه ، كما أن الإنسان لا يدخل في ميدان المعركة مع العدو إلا بسلاح وشجاعة ، ثم ذكر المؤلف رحمه اللَّه أنه سيذكر في كتابه هذا كل حجة أتى بها المشركون ليحتجوا بها على شيخ الإسلام رحمه اللَّه ، ويكشف هذه الشبهات ؛ لأنها في الحقيقة ليست حججًا ، ولكنه تشبيه وتلبيس .

أمّا المجمل: فهو الأمر العظيم، والفائدة الكبيرة لمن عقلها، وذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧](١).

وقد صح(٢) عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه

---

(١) بيّن رحمه الله تعالى أنه سيجيب على هذه الشبهات **بجوابين**:
أحدهما: مجمل عام صالح لكل شبهة.
الثاني: مفصل، وهكذا ينبغي لأهل العلم في باب المناظرة والمجادلة أن يأتوا بجواب مجمل حتى يشمل ما يحتمل أن يورده الملبسون المشبهون، ويأتي بجواب مفصل لكل مسألة بعينها، قال الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، فذكر في الجواب المجمل رحمه الله: أن هؤلاء الذين يتبعون المتشابه هم الذين في قلوبهم زيغ كما صح ذلك عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ... ﴾ [آل عمران: ٧].
ولهذا تجد أهل الزيغ – والعياذ بالله – يأتون بالآيات المتشابهات ليلبسوا بها على باطلهم، فيقولون مثلًا قال الله تعالى كذا وقال في موضع آخر كذا؟ فكيف يكون؟ وهذا مثل ما حصل لنافع بن الأزرق مع ابن عباس رضي الله عنهما في مناظرته التي ذكرها السيوطي في «الإتقان» وربما يكون غيره ذكرها وهي مفيدة[1].

(٢) قال الشيخ رحمه الله: وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه. فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم»[2]، استدل المؤلف – رحمه الله – بهذا الحديث على أن الرجل الذي يتبع المتشابه من القرآن أو من السنة وصار يلبس به على =

---

[1] «الإتقان» (٣٤٧/١)، وكتاب «إيضاح الوقف» (ص٩٥)، و«المعجم الكبير» (٣٠٠/١٠).
ونافع بن الأزرق الحروري من رؤوس الخوارج، وإليه تنسب الطائفة الأزارقة، وكان في أواخر دولة يزيد بن معاوية. انظر «تاريخ بغداد» (٣٠٢/١٢)، و«لسان الميزان» (١٤٤/٦).

[2] **متفق عليه**: البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥) واللفظ له. من حديث عائشة.

فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم » .

مثال ذلك : إذا قال لك بعض المشركين : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] وأن الشفاعة حق ، وأن الأنبياء لهم جاه عند الله .

أو ذكر كلامًا للنبي ﷺ يستدل به على شيء من باطله ، وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره ، فجاوبه بقولك : إن الله ذكر في كتابه أن الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه ، وما ذكرته لك من أن الله تعالى ذكر أن المشركين يقرون بالربوبية ، وأن كفرهم بتعلقهم على الملائكة والأنبياء والأولياء مع قولهم : ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] .

= باطله ، فهؤلاء هم الذين سماهم الله ووصفهم بقوله : ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ [آل عمران: ٧] الآية ، ثم أمر النبي ﷺ بالحذر منهم فقال : « احذروهم » من أن يضلوكم عن سبيل الله باتباع هذا المتشابه واحذروا طريقهم أيضًا ، فالتحذير هنا يشمل التحذير عن طريقهم والتحذير منهم أيضًا ، ثم ضرب المؤلف لهم مثلًا بأن يقول لك المشرك : أليس الله يقول : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ، أوليس للأولياء جاه عند الله سبحانه وتعالى ؟ أو ليست الشفاعة ثابتة بالقرآن والسنة ؟ وما أشبه ذلك من هذه الأشياء فقل : نعم ، كل هذا حق ولكنه ليس فيه دليل على أن تشرك بهؤلاء الأولياء ، أو بهؤلاء الرسل ، أو بهؤلاء الذين عندهم شفاعة عند الله – عز وجل –ودعواك أن هذا يدل على ذلك دعوى باطلة لا يحتج بها إلا مبطل ، وما أنت إلا من الذين قال الله فيهم : ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ ، ولو أنك رددت هذا المتشابه إلى المحكم لعلمت أن هذا لا دليل لك فيه .

هذا أمر مُحْكَمٌ بيّنٌ ، لا يقدر أحد أن يغيّر معناه(١) .

وما ذكرت لي أيها المشرك من القرآن ، أو كلام النبي ﷺ ، لا أعرف معناه ولكن أقطع أن كلام الله لا يتناقض ، وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله(٢) .

وهذا جواب جيد سديد(٣) .

---

(١) ذكر المؤلف رحمه الله كيف نرد المتشابه إلى المحكم . أن المشركين كانوا مقرين بتوحيد الربوبية ويؤمنون بذلك إيمانًا لا شك فيه عندهم ، ولكنهم يعبدون الملائكة وغيرهم ، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، ومع هذا كانوا مشركين ، استباح النبي ﷺ دماءهم وأموالهم ، وهذا نص محكم لا اشتباه فيه دال على أن الله لا شريك له في ألوهيته وفي عبادته كما أنه لا شريك له في ربوبيته وملكه ، وأن من أشرك بالله في ألوهيته فهو مشرك ، وإن وحّده في الربوبية .

(٢) قوله رحمه الله : « ما ذكرت أيها المشرك من كلام الله تعالى وكلام رسوله لا أعرف معناه ، ولكنى أعلم أن كلام الله لا يتناقض ، وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله » يريد بقوله : « لا أعرف معناه » أي لا أعرف معناه الذي أنت تدعيه ، وإنني أنكره ولا أقر به ، لأنني أعلم أن كلام الله لا يتناقض ، وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله ، قال تعالى : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] ، وقال تعالى : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩] ، وقال تعالى : ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤] ، وكلام الرسول ﷺ لا يخالف كلام الله ، وكذلك كلام الله لا يناقض بعضه بعضًا ، وقد أخبر سبحانه وتعالى أنه لا شريك له ، وقال النبي ﷺ : « بنى الإسلام على خمس ؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ... » إلى آخر الحديث[1] ، وهذا كله يؤيد بعضه بعضًا ، ويدل على أن الله تعالى ليس له شريك في الألوهية كما أنه ليس له شريك في الربوبية .

(٣) قوله رحمه الله : « وهذا جواب جيد سديد » يعني قول الإنسان لخصمه أن كلام الله تعالى لا يتناقض ، وأن كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يخالف كلام الله ، وأن الواجب رد المتشابه إلى المحكم ، فهذا أجاب بجواب سديد أي ساد لمحله لا يمكن لأحد أن =

---

[1] متفق عليه : البخاري (٨) ، ومسلم (١٦) من حديث ابن عمر.

ولكن لا يفهمه[(١)] إلا من وفقه الله ، فلا تستهن به ، فإنه كما قال تعالى : ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فُصّلَت: ٣٥] .

وأمَّا الجواب المفصّل[(٢)] : فإن أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة على دين الرسل يصدون بها الناس عنه ، منها قولهم : نحن لا نشرك بالله ، بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدًا ﷺ لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا فضلًا عن عبد القادر أو غيره .

ولكن أنا مذنبٌ ، والصالحون لهم جاه عند الله ، وأطلب من الله بهم ، فجاوبه

= يناقضه ، أو يرد عليه ما ينقضه ؛ لأنه كلام محكم مبني على الدليلين : السمعي ، والعقلي ، وما كان كذلك فإنه جواب لا يمكن لأي مبطل أن ينقضه .

(١) قوله : « ولكن لا يفهمه ... إلخ » يعني أن هذا الجواب لا يفهمه إلا من وفقه الله فكشف عنه فتنة الشبهات وفتنة الشهوات ، ثم استدل لذلك بقوله تعالى : ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ [فُصّلَت: ٣٥] أي ما يوفق للدفع بالتي هي أحسن .

(٢) قوله رحمه الله تعالى : « أما الجواب المفصل ... إلخ » لأن الجواب الأول كان مجملًا يرد به الإنسان على كل شبهة ، ثم هناك جواب مفصل أي مميز بعضته عن بعض بحيث تدفع به شبهة كل واحد بعينها .

فإذا قال لك المشرك : أنا لا أشرك بالله ، بل أشهد أنه لا يخلق ، ولا يرزق ، ولا ينفع ، ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا فضلًا عمن دونه صلى الله عليه وآله وسلم ، كعبد القادر يعني ابن موسى الجيلاني – على خلاف في اسم أبيه – كان من كبار الزهاد والمتصوفين ، وُلد سنة ٤٧١ بجيلان ، وتُوفي سنة ٥٦١ في بغداد ، وكان حنبلي المذهب[1] ، وهذا هو التوحيد ، فهذه شبهة يلبس بها ، ولكنها شبهة داحضة لا تفيده شيئًا .

---

[1] قال السمعاني : « كان عبد القادر من أهل جيلان ، إمام الحنابلة وشيخهم في عصره ، فقيه صالح دين خير ، كثير الذكر ، دائم الفكر ، سريع الدمعة » .

انظر ترجمته في : سير أعلام النبلاء (٤٣٩/٢٠) ، المنتظم (٢١٩/١٠) ، العبر (١٧٥/٤) ، البداية والنهاية (٢٥٢/١٢) ، ذيل طبقات الحنابلة (٢٩٠/١) وغيرها .

بما تقدم ؛ وهو : أن الذين قاتلهم رسول اللّٰه ﷺ مقرون بما ذكرت ، ومقرون بأن أوثانهم لا تدبر شيئًا ، وإنما أرادوا الجاه والشفاعة[١] ، واقرأ عليه ما ذكر اللّٰه فى كتابه ووضحه[٢] .

فإن قال : هؤلاء[٣] الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام ، كيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام ؟ أم كيف تجعلون الأنبياء أصنامًا ؟ فجاوبه بما تقدّم .

---

(١) قوله : « ولكن أنا مذنب ... إلخ » هذا بقية كلام المشبه ، فأجبه بأن ما ذكرت هو ما كان عليه المشركون الذين قاتلهم النبي ﷺ ، واستباح دماءهم ونساءهم وأموالهم ، ولم يغنهم هذا التوحيد شيئًا .

(٢) قوله : « واقرأ عليه ما ذكر اللّٰه تعالى في كتابه ووضحه » ، يريد بذلك أن تقرأ عليه ما ذكر اللّٰه في كتابه من توحيد الألوهية ؛ فإنه جل وعلا أبدأ فيه وأعاد وكرر من أجل تثبيته في قلوب الناس وإقامة الحجة عليهم فقال تعالى : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] ، وقال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] ، وقال تعالى : ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨] ، وقال تعالى ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣] ، وقال تعالى : ﴿فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦] إلى غيرها من الآيات الكثيرة الدالة على وجوب توحيد اللّٰه عز وجل في عبادته ، وأن لا يعبد أحد سواه ، فإذا اقتنع بذلك فهذا هو المطلوب ، وإن لم يقتنع فهو مكابر معاند يصدق عليه قول اللّٰه تعالى : ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤] .

(٣) قوله : « فإن قال : هؤلاء » يعني أهل الشرك : هذه الآيات نزلت في المشركين الذين يعبدون الأصنام وهؤلاء الأولياء ليسوا بأصنام .

فجاوبه بما تقدم أي بأن كل من عَبد غير اللّٰه فقد جعل معبوده وثنًا ، فأى فرق بين من عبد الأصنام وعبد الأنبياء والأولياء ؟ إذ إن الجميع لا يغني شيئًا عن عابديه .

فإنه[1] إذا أقرّ أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله، وأنهم ما أرادوا ممن قَصَدُوا إلا الشفاعة، ولكن أراد أن يفرق بين فعلهم وفعله بما ذكر، فاذكر له: أنّ الكفار منهم من يدعو الأصنام، ومنهم من يدعو الأولياء، الذين قال الله فيهم: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧]. ويدعون عيسى ابن مريم وأمه، وقد قال الله تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [المائدة: ٧٥، ٧٦][2].

---

(١) يقول: «فإنه» أي هذا القائل يعلم أن المشركين قد أقروا بالربوبية، وأن الله سبحانه وتعالى هو رب كل شيء وخالقه ومالكه، ولكنهم عبدوا هذه الأصنام من أجل أن تقربهم إلى الله زلفى، وتشفع لهم فقد أقر بأن مقصودهم كمقصوده، ومع ذلك لم ينفعهم هذا الاعتقاد كما سبق.

(٢) قوله: «فاذكر له ... إلخ» جواب قوله: «فإنه إذا أقر أن الكفار ... إلخ» يعني فاذكر له أن هؤلاء المشركين منهم من يدعو الأصنام لطلب الشفاعة، كما أنت كذلك موافق لهم في المقصود، ومنهم من يعبد الأولياء كما أنت كذلك موافق لهم في المقصود والمعبود، ودليل أنهم يدعون الأولياء قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧]، وكذلك يعبدون الأنبياء كعبادة النصارى المسيح ابن مريم، وكذلك يعبدون الملائكة كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [سبأ: ٤٠] الآية؛ فتبين بذلك الجواب عن تلبيسه بكون المشركين يعبدون الأصنام، وهو يعبد الأولياء والصالحين من وجهين:

الوجه الأول: أنه لا صحة لتلبيسه؛ لأن من أولئك المشركين من يعبد الأولياء والصالحين.

الوجه الثاني: لو قدرنا أن أولئك المشركين لا يعبدون إلا الأصنام فلا فرق بينه وبينهم؛ لأن الكل عبد من لا يغني عنه شيئًا.

واذكر له قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝٤٠ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠، ٤١][١].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦][٢].

فقل له: عَرَفْتَ أن الله كفَّر من قصد الأصنام، وكفَّر - أيضًا - من قصد الصالحين، وقاتلهم رسول الله ﷺ[٣].

فإن قال[٤]: الكفار يريدون منهم، وأنا أشهد أن الله هو النافع الضار المدبر، لا

---

(١) قوله: «واذكر له قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [سبأ: ٤٠]» الآيتين، هذه معطوفة على قوله سابقًا: «فاذكر له أن الكفار منهم من يدعو الأصنام ... إلخ». والمقصود من هذا أن يتبين له أن من الكفار من يعبد الملائكة، وهم من خيار خلق الله وأوليائه، فيبطل تلبيسه بأن الفرق بينه وبين الكفار أنه هو يدعو الصالحين والأولياء، والكفار يعبدون الأصنام من الأحجار ونحوها.

(٢) قوله: «وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾» الآية، أي واذكر له قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى...﴾ لتلقمه حجرًا من أن الكفار كانوا يعبدون الأولياء والصالحين، فلا فرق بينه وبين أولئك الكفار.

(٣) قوله: «فقل له ... إلخ» أي قل ذلك مبينًا له أن الله سبحانه وتعالى كفَّر من عبد الصالحين، ومن عبد الأصنام، والنبي ﷺ قاتلهم على هذا الشرك، ولم ينفعهم أن كان المعبودون من أولياء الله وأنبيائه.

(٤) قوله: «فإن قال» يعني هذا المشرك، الكفار يريدون منهم أي يريدون أن ينفعوهم أو يضروهم، وأنا لا أريد إلا من الله، والصالحون ليس لهم من الأمر شيء، وأنا لا أعتقد فيهم، ولكن أتقرب بهم إلى الله - عز وجل - ليكونوا شفعاء. فقل له: وكذلك المشركون الذين بُعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، هم لا يعبدون هؤلاء =

أريد إلا منه ، والصالحون ليس لهم من الأمر شيء ، ولكن أقصدهم ، أرجو من الله شفاعتهم .

فالجواب : أن هذا قول الكفار سواء بسواء ، واقرأ عليه قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزُّمَر: ٣] ، وقوله تعالى : ﴿وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يُونس: ١٨] .

واعلم أن هذه الشبه الثلاث هي أكبر ما عندهم ، فإذا عرفت أن الله وضّحها لنا في كتابه ، وفهمتها فهمًا جيدًا ، فما بعدها أيسر منها[(١)] .

فإن قال : أنا لا أعبد إلا الله ، وهذا الالتجاء إلى الصالحين ، ودعاؤهم ليس بعبادة ، فقل له : أنت تُقر أن الله فرض عليك إخلاص العبادة لله[(٢)] ، وهو حقه

= الأصنام لاعتقادهم أنها تنفع وتضر ، ولكنهم يعبدونها لتقربهم إلى الله زلفى ، كما قال تعالى عنهم : ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ ، وقال : ﴿وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ ، فتكون حاله كحال هؤلاء المشركين سواء بسواء .

(١) قوله رحمه الله تعالى : « هذه الشبه الثلاث » :

الشبهة الأولى : قوله : « إنا لا نعبد الأصنام إنما نعبد الأولياء » .

الشبهة الثانية : قولهم : « إننا ما قصدناهم ، وإنما قصدنا الله عز وجل في العبادة » .

الشبهة الثالثة : قولهم : « إننا ما عبدناهم لينفعونا أو يضرونا ، فإن النفع والضرر بيد الله عز وجل ، ولكن ليقربونا إلى الله زلفى ، فنحن قصدنا شفاعتهم بذلك ، يعني فنحن لا نشرك بالله سبحانه وتعالى » .

فإذا تبين لك انكشاف هذه الشبه ، فانكشاف ما بعدها من الشبه أهون وأيسر ؛ لأن هذه من أقوى الشبه التي يلبسون بها .

(٢) إذا قال هذا الرجل المشبه : أنا لست أعبدهم كما أعبد الله عز وجل ، والالتجاء إليهم ودعاؤهم ليس بعبادة فهذه شبهة .

وجوابها أن تقول : إن الله فرض عليك إخلاص العبادة له وحده . فإذا قال : نعم ، فاسأله ما معنى إخلاص العبادة له ؟ فإما أن يعرف ذلك ، وإما أن لا يعرف ، فإن كان =

عليك . فإذا قال : نعم . فقل له : بيّن لي هذا الذي فرض عليك ، وهو إخلاص العبادة للَّه وحده ، وهو حقه عليك ، فإن كان لا يعرف العبادة ولا أنواعها .

فبيّنها له[(١)] بقولك : قال اللَّه تعالى : ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥] ، فإذا أعلمته بهذا ، فقل له : هل علمت هذا عبادة للَّه ؟ فلابد أن يقول : نعم ، والدعاء مخ العبادة .

فقل له[(٢)] : إذا أقررت أنها عبادة ودعوت اللَّه ليلًا ونهارًا خوفًا وطمعًا ، ثم دعوت فى تلك الحاجة نبيًّا أو غيره ، هل أشركت فى عبادة اللَّه غيره ؟ فلابد أن يقـول : نعم . فقل له : فإذا علمت بقول اللَّه تعالى : ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢][(٣)] وأطعت اللَّه ونحرت له . هل هذا عبادة ؟ فلابد أن يقول : نعم . فقل

= لا يعرف فبين له ذلك ؛ ليعلم أن دعاءه للصالحين وتعلقه بهم عبادة .

(١) قوله : « فبينها له » أي بين له أنواع العبادة فقل له : إن اللَّه يقول : ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ ، والدعاء عبادة[1] ، وإذا كان عبادة فإن دعاء غير اللَّه يكون إشراكًا بالله عز وجل ، وعلى هذا فالذي يستحق أن يدعى ويُعْبَد ويُرجَى هو اللَّه وحده لا شريك له .

(٢) قوله : « فقل له ... إلخ » ، يعني إذا بينت أن الدعاء عبادة وأقر به فقل له : ألست تدعو اللَّه تعالى في حاجة ثم تدعو في تلك الحاجة نفسها نبيًّا أو غيره ، فهل أشركت في عبادة اللَّه غيره ؟ فلابد أن يقول : نعم ؛ لأن هذا لازم لا محالة ، هذا بالنسبة للدعاء .

(٣) ثم انتقل المؤلف رحمه اللَّه إلى نوع آخر من العبادة وهو النحر قال : فقل له : إذا علمت بقول اللَّه تعالى : ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ ، وأطعت اللَّه ونحرت له أهذا عبادة ؟ فلابد أن يقول =

---

[1] حديث « الدعاء مخ العبادة » حديث ضعيف . أخرجه الترمذي (٣٣٧١) ، والطبراني في « الأوسط » (٣١٩٦) ، وفي « الدعاء » (٨) من طريق ابن لهيعة ، عن عبيد اللَّه بن أبي جعفر ، عن أبان بن صالح ، عن أنس به .
قال الترمذي : « حديث غريب من هذا الوجه ، لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة » . قلت : وابن لهيعة ضعيف مطلقًا .
والحديث الصحيح بلفظ : « الدعاء هو العبادة » أخرجه أبو داود (١٤٧٩) ، والترمذي (٣٢٤٧، ٣٣٧٢) ، وابن ماجه (٣٨٢٨) ، والبخاري في « الأدب » (٧١٤) من حديث النعمان بن بشير .

له : إذا نحرت لمخلوق نبى ، أو جنى أو غيرهما ، هل أشركت فى هذه العبادة غير الله ؟ فلابد أن يقر ويقول : نعم .

وقل له – أيضًا[١]– : المشركون الذين نزل فيهم القرآن هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغير ذلك ؟ فلابد أن يقول : نعم ، فقل له : وهل كانت عبادتهم إياهم إلا فى الدعاء والذبح والالتجاء ونحو ذلك ؟ وإلّا فهم يقرون أنهم عبيده وتحت قهره ، وأن الله هو الذي يدبّر الأمر ، ولكن دَعَوْهُم والتجئوا إليهم للجاه والشفاعة ، وهذا ظاهر جدًّا

فإن قال : أتنكر شفاعة رسول الله ﷺ وتبرأ منها ؟

فقل : لا أنكرها ، ولا أتبرأ منها ، بل هو ﷺ الشافع المشفّع ، وأرجو شفاعته ، ولكن الشفاعة كلها لله ، كما قال الله تعالى : ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزُّمَر: ٤٤][٢] . ولا تكون إلا من بعد إذن الله ، كما قال عز وجل : ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ

= نعم فقد اعترف أن النحر لله تعالى عبادة ، وعلى هذا يكون صرفه لغير الله شركًا ، قال المؤلف رحمه الله مقررًا ذلك : « فقل له إذا نحرت لمخلوق ... إلخ » وهذا إلزام واضح لا محيد عنه .

(١) قوله : « وقل له أيضًا : المشركون ... إلخ » انتقل المؤلف رحمه الله تعالى إلى إلزام آخر سبقت الإشارة إليه ، وهو أن يسأل هذا المُشَبِّه هل كان المشركون يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغير ذلك فلابد أن يقول : نعم فيسأل مرة أخرى : هل كانت عبادتهم إلا في الدعاء والذبح والالتجاء ونحو ذلك ؟ مع إقرارهم بأنهم عبيد لله وتحت قهره وأن الله هو الذي يدبر الأمر ، لكن دعوهم والتجئوا إليهم للجاه والشفاعة ، كما سبق ، وهذا ما وقع فيه المشبه تمامًا !!

(٢) قوله : « فإن قال » يعني إذا قال لك المشرك المشبّه هل تنكر شفاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول هذا من أجل أن يلزمك بجواز دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، عسى أن يشفع لك عند الله إذا دعوته ، فقل له : لا أنكر هذه الشفاعة ولا أتبرأ منها ، ولكني أقول : إن الشفاعة لله ومرجعها كلها إليه ، وهو الذي يأذن فيها إذا شاء ولمن شاء لقول الله تعالى : ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الزُّمَر: ٤٤] .

عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ولا يشفع في أحد إلا من بعد أن يأذن اللّه فيه[١]، كما قال عز وجل: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وهو لا يرضى إلا التوحيد، كما قال عز وجل: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

فإذا كانت الشفاعة كلها للّه[٢]، ولا تكون إلا من بعد إذنه، ولا يشفع النبي ﷺ ولا غيره في أحد حتى يأذن اللّه فيه، ولا يأذن إلا لأهل التوحيد تبيّن لك أن الشفاعة كلها للّه، فاطلبها منه فأقول[1]: اللهم لا تحرمني شفاعته، اللهم شفّعه فيَّ، وأمثال هذا.

---

(١) قوله: «ولا تكون إلا بعد إذن اللّه... إلخ». بيّن رحمه اللّه أن الشفاعة لا تكون إلا بشرطين:

الشرط الأول: أن يأذن اللّه بها؛ لقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾.

الشرط الثاني: أن يرضى اللّه عز وجل عن الشافع والمشفوع له، لقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩]، ولقول اللّه تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، ومن المعلوم أن اللّه لا يرضى إلا بالتوحيد، ولا يمكن أن يرضى الكفر؛ لقوله تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧]، فإذا كان لا يرضى الكفر فإنه لا يأذن بالشفاعة للكافر.

(٢) قوله: «فإذا كانت الشفاعة كلها للّه... إلخ» أراد المؤلف رحمه اللّه تعالى أنه إذا كانت الشفاعة للّه، ولا تكون إلا بإذنه، ولا تكون إلا لمن ارتضى ولا يرضى إلا التوحيد؛ لزم من ذلك أن لا تطلب الشفاعة إلا من اللّه تعالى لا من النبي ﷺ. فيقول: اللهم شفع فيَّ نبيك، اللهم لا تحرمني شفاعته وأمثال ذلك.

---

[1] هكذا بالأصل، ولعل صوابها: «وقل».

فإن قال[(١)] : النبي ﷺ أُعطي الشفاعة ، وأنا أطلبه[1] مما أعطاه الله .

فالجواب : أن الله أعطاه الشفاعة ، ونهاك عن هذا ، فقال : ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجنّ: ١٨] ، فإذا كنت تدعو الله أن يُشَفِّع نبيَّه فيك فأطعه في قوله : ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجنّ: ١٨] .

وأيضًا فإن الشفاعة أعطيها غير النبي ﷺ ، فصح أن الملائكة يشفعون ، والأولياء يشفعون[(٢)] ، ....

(١) قوله : « فإن قال » أي المشرك الذي يدعو رسول الله ﷺ : إن الله أعطى محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم الشفاعة فأنا أطلبها منه .

فالجواب : من ثلاثة أوجه :

الأول : إن الله أعطاه الشفاعة ونهاك أن تشرك به في دعائه فقال : ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ .

الثاني : إن الله سبحانه وتعالى أعطاه الشفاعة ، ولكنه ﷺ لا يشفع إلا بإذن الله ، ولا يشفع إلا لمن ارتضاه الله ، ومن كان مشركًا فإن الله لا يرتضيه ، فلا يأذن أن يشفع له ، كما قال تعالى : ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ .

الثالث : إن الله تعالى أعطى الشفاعة غير محمد صلى الله عليه وآله وسلم . فالملائكة يشفعون ، والأفراط يشفعون ، والأولياء يشفعون ، فقل له : هل تطلب الشفاعة من كل هؤلاء ؟ فإن قال : لا ، فقد خصم . وبطل قوله ، وإن قال : نعم ، رجع إلى القول بعبادة الصالحين ، ثم إن هذا المشرك المشبّه ليس يريد من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يشفع له .

ولو كان يريد ذلك لقال : « اللهم شَفِّعْ فيَّ نبيك محمدًا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم » ولكنه يدعو الرسول ﷺ مباشرة ، ودعاء غير الله شرك أكبر مخرج من الملة ، فكيف يريد هذا الرجل الذي يدعو مع الله غيره أن يشفع له أحد عند الله سبحانه وتعالى ؟!

(٢) وقال المؤلف : « إن الملائكة يشفعون ، والأولياء يشفعون » ، سنده حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي رواه مسلم مطولًا ، وفيه : =

[1] هكذا في الأصل وهو سائغ على تقدير : شيء أو نحو ذلك ، لكن في شرح الشيخ ابن عثيمين : فأنا أطلبها .

والأفراط يشفعون[(١)] ، أتقول : إن اللّه أعطاهم الشفاعة فأطلبها منهم ؟

فإن قلت هذا رجعت إلى عبادة الصالحين التى ذكر اللّه فى كتابه ، وإن قلت : لا ، بطل قولك : أعطاه اللّه الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه اللّه .

فإن قال : أنا لا أشرك باللّه شيئًا حاشا وكلا ، ولكن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك !

فقل له : إذا كنت تقر أن اللّه حرّم الشرك أعظم من تحريم الزنا ، وتقر أن اللّه لا يغفره ، فما هذا الأمر الذي حرّمه اللّه وذكر أنه لا يغفره ؟ فإنه لا يدرى[(٢)] .

فقل له : كيف تُبرّئُ نفسك[(٣)] من الشرك وأنت لا تعرفه ؟ أم كيف يُحرّم اللّه

= « فيقول اللّه عز وجل : شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون »[1] الحديث .

(١) وقوله : « والأفراط يشفعون » الأفراط هم الذين ماتوا قبل البلوغ ، وسنده حديث أبى هريرة رضي اللّه عنه عن النبي ﷺ قال : « لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم »[2] أخرجه البخارى ، وله عنه وعن أبى سعيد من حديث آخر : « لم يبلغوا الحنث »[3] .

(٢) إذا قال هذا المشرك: أنا لا أشرك بالله شيئًا والالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك.
فجوابه أن يقال له : ألست تقر أن اللّه حرم الشرك أعظم من تحريم الزنا ، وأن اللّه لا يغفره فما هذا الشرك ؟ فإنه سوف لا يدرى ولا يجيب بالصواب مادام يعتقد أن طلب الشفاعة من رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم ليس بشرك ، فهو دليل على أنه لا يعرف الشرك الذي عظمه اللّه تعالى وقال فيه : ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان : ١٣] .

(٣) قوله : « فقل له كيف تبرئ نفسك ... إلخ » يعني إذا برأ نفسه من الشرك بلجوئه إلى الصالحين فجوابه من **وجهين** : =

---

[1] مسلم (١٨٣) .

[2] **متفق عليه** : البخاري (١٢٥١) ، ومسلم (٢٦٣٢) قال البخاري عن تحلة القسم : ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم : ٧١] .

[3] أخرجه البخاري (١٢٥٠ – معلقًا) ، ورواه مسلم (٢٦٣٤) من حديث أبي هريرة أيضًا . وأخرجه البخاري (١٢٤٨) من حديث أنس .

عليك هذا ويذكر أنه لا يغفره؟ ولا تسأل عنه ولا تعرفه؟ أتظن أن اللَّه يحرّمه ولا يبيّنه لنا؟

فإن قال: الشرك عبادة الأصنام، ونحن لا نعبد الأصنام؟

فقل له: ما معنى عبادة الأصنام، أتظن أنهم يعتقدون أن تلك الأخشاب والأحجار تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها، فهذا يكذّبه القرآن[1].

وإن قال[2]: هو من قصد خشبةً، أو حجرًا، أو بنية على قبرٍ، أو غيره، يدعون ذلك، ويذبحون له، ويقولون: إنه يقربنا إلى اللَّه زلفى، ويدفع اللَّه عنا ببركته، أو يعطينا ببركته فقل: صدقت، وهذا هو فعلكم عند الأحجار والأبنية التي على القبور وغيرها، فهذا أقرّ: أنّ فعلهم هذا هو عبادة الأصنام، فهو المطلوب.

ويقال له - أيضًا -: قولك: الشرك عبادة الأصنام، هل مُرادك أن الشرك

= **الأول**: أن يقال: كيف تبرئ نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه، وهل الحكم على الشيء إلا بعد تصوره، فحكمك - براءة نفسك من الشرك وأنت لا تعلمه - حكم بلا علم؛ فيكون مردودًا.

الوجه الثاني: أن يقال لماذا لا تسال عن الشرك الذي حرمه اللَّه تعالى أعظم من تحريم قتل النفس والزنا، وأوجب لفاعله النار، وحرم عليه الجنة، أتظن أن اللَّه حرمه على عباده ولم يبينه لهم حاشاه من ذلك.

(١) يعني إذا قال لك المشرك المشبه: الشرك عبادة الأصنام، ونحن لا نعبد الأصنام فأجبه بجوابين:

الأول: قل له: ما هي عبادة الأصنام؟ أتظن أن من عبدها يعتقد أنها تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها، فإن زعم ذلك فقد كذب القرآن.

(٢) قوله: «وإن قال ... إلخ» هذا مقابل قولنا: «إن زعم ذلك فقد كذب القرآن» يعني إن قال: عبادة الأصنام أن يقصد خشبة أو حجرًا أو بنية على قبر أو غيره، يدعون ذلك، ويذبحون له، ويقولون إنه يقربنا إلى اللَّه زلفى قلنا: صدقت، وهذا هو فعلك سواء بسواء، وعليه فتكون مشركًا بإقرارك على نفسك، وهذا هو المطلوب.

مخصوص بهذا ، وأن الاعتماد على الصالحين ودعاءهم لا يدخل فى ذلك ؟ فهذا يردُّهُ ما ذكر اللَّه فى كتابه من كُفر من تعلّق على الملائكة ، أو عيسى ، أو الصالحين[١] . فلابد أن يُقِرَّ لك أن من أشرك فى عبادة اللَّه أحدًا من الصالحين ، فهو الشرك المذكور فى القرآن ، وهذا هو المطلوب .

وسِرُّ المسألة[٢] : أنه إذا قال : أنا لا أشرك باللَّه ، فقل له : وما الشرك باللَّه ؟ فسره لى ؟ فإن قال[٣] : هو عبادة الأصنام . فقل : وما معنى عبادة الأصنام ؟ فسرها لى[٤] .

---

(١) قوله : « ويقال له أيضًا قولك : الشرك عبادة الأصنام » إلى قوله : « وهذا هو المطلوب » هذا هو الجواب الثاني أن يقال : هل مرادك أن الشرك مخصوص بهذا ، وأن الاعتماد على الصالحين ودعاء الصالحين لا يدخل في ذلك ، فهذا يرده القرآن ، فلا بد أن يُقِرَّ لك أن من أشرك في عبادة اللَّه أحد من الصالحين فهو الشرك المذكور في القرآن ، وهذا هو المطلوب .

(٢) قوله : « وسر المسألة » يعني لبها أنه إذا قال : أنا لا أشرك بالله ، فاسأله ما معنى الشرك ؟ فإن قال : هو عبادة الأصنام ، فاسأله ما معنى عبادة الأصنام ؟ ثم جادله على ما سبق بيانه .

(٣) قوله : « فإن قال ... إلخ » يعني إذا ادعى هذا المشرك أنه لا يعبد إلا اللَّه وحده فاسأله : ما معنى عبادة اللَّه وحده ؟ وحينئذ لا يخلو من ثلاث حالات :

الأولى : أن يفسرها بما دل عليه القرآن فهذا هو المطلوب والمقبول ، وبه يتبين أنه لم يحقق عبادة اللَّه وحده حيث أشرك به .

الثانية : أن لا يعرف معناها ، فيقال : كيف تدعي شيئًا وأنت لا تعرفه ؟ أم كيف تحكم به لنفسك والحكم على الشيء فرع عن تصوره ؟

الثالثة : أن يفسر عبادة اللَّه بغير معناها ، وحينئذ يبين له خطؤه ببيان المعنى الشرعى للشرك وعبادة الأوثان ، وأنه الذي يفعلونه بعينه ، ويدعون أنهم موحدون غير مشركين .

(٤) يعني ويبين له أيضًا أن عبادة اللَّه وحده هي التى ينكرونها علينا ويصرخون بها علينا كما فعل ذلك أسلافهم حين قالوا للرسول ﷺ : ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ [ص : ٥- ٧] .

فإن قال : أنا لا أعبد إلا الله ، فقل : ما معنى عبادة الله فسرها لي ؟ فإن فسرها بما بيّنه القرآن فهو المطلوب ، وإن لم يعرفه فكيف يدّعي شيئًا وهو لا يعرفه ؟ وإن فسّر ذلك بغير معناه ، بيّنت له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله وعبادة الأوثان ، وأنه الذي يفعلونه في هذا الزمان بعينه ، وأن عبادة الله وحده لا شريك له هي التي ينكرون علينا ويصيحون فيه ، كما صاح إخوانهم ، حيث قالوا : ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥] .

[فإن قال : إنهم لا يكفرون بدعاء الملائكة والأنبياء ، وإنما يكفرون لما قالوا : الملائكة بنات الله ، فإنا لم نقل عبد القادر ابن الله ولا غيره .

فالجواب : أن نسبة الولد إلى الله كفر مستقل . قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ [الإخلاص : ١ ، ٢] ، والأحد : الذي لا نظير له .

والصمد : المقصود في الحوائج . فمن جحد هذا فقد كفر ، ولو لم يجحد السورة . وقال الله تعالى : ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ﴾ [المؤمنون : ٩١] ، ففرق بين النوعين ، وجعل كلًّا منهما كفرًا مستقلًا ، وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ ﴾ [الأنعام : ١٠٠]، ففرق بين كفرين .

والدليل على هذا أيضًا : أن الذين كفروا بدعاء اللات مع كونه رجلًا صالحًا لم يجعلوه ابن الله ، والذين كفروا بعبادة الجن لم يجعلوهم كذلك .

وكذلك أيضًا العلماء في جميع المذاهب الأربعة يذكرون في (باب حكم المرتد) أن المسلم إذا زعم أن لله ولدًا فهو مرتد ، ويفرقون بين النوعين ، وهذا في غاية الوضوح . وإن قال : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [يونس : ٦٢] ، فقل : هذا هو الحق . ولكن لا يعبدون .

ونحن لم نذكر[1] إلا عبادتهم مع الله وشركهم معه . وإلا فالواجب عليك

[1] هكذا في الأصل ، ولعل الصواب : « لم ننكر » .

حبهم واتباعهم والإقرار بكرامتهم .

ولا يجحد كرامات الأولياء إلا أهل البدع والضلال ، ودين الله وسط بين طرفين ، وهدي بين ضلالتين وحق بين باطلين][1] .

فإذا عرفت(١) أن هذا الذي يسميه المشركون في زماننا (كبير الاعتقاد) هو الشرك الذي نزل فيه القرآن ، وقاتل رسول الله ﷺ الناس عليه .

فاعلم أن شرك الأوَّلين أخف من شرك أهل زماننا بأمرين :

أحدهما : أن الأولين لا يشركون ، ولا يدعون الملائكة والأولياء والأوثان مع الله إلا في الرخاء ، وأمَّا الشدة فيخلصون لله الدعاء .

كما قال تعالى : ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧] .

---

(١) قوله : « إذا عرفت » يعني علمت معنى العبادة ، وأن ما عليه أولئك المشركون في زمنه هو ما كان المشركون عليه في عهد النبي ﷺ ، عرفت أن شرك هؤلاء أعظم من شرك الذين قاتلهم النبي ﷺ **من وجهين** :

الوجه الأول : أن هؤلاء يشركون بالله في الشدة والرخاء ، وأما أولئك المشركون الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ ، فإنما يشركون في الرخاء ويخلصون في حال الشدة ، كما قال تعالى : ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾ الآية ، فكانوا إذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين لا يدعون غيره ولا يسألون سواه ، ثم إذا أنجاهم إلى البر إذا هم يشركون ، أو فريق منهم بربهم يشركون ، فهذا هو وجه[2] .

---

[1] ما بين المعكوفين غير موجود بالنسخ المطبوعة واستدركناه من مجموع رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله .

[2] الوجه الثاني (ص٥٧) .

وقوله : ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤٠ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام : ٤٠، ٤١][1] .

وقوله : ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ...﴾ إلى قوله : ﴿تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [الزمر: ٨][2] .

وقوله : ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [لقمان: ٣٢][3] .

فمن فهم هذه المسألة التي وضحها اللّٰه في كتابه ، وهي : أن المشركين الذين قاتلهم رسول اللّٰه ﷺ يدعون اللّٰه ويدعون غيره في الرخاء ، وأمّا في الضرّاء والشدَّة فلا يدعون إلا اللّٰه وحده لا شريك له ، وينسون سادتهم[4] ، تبيّن له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين ، ولكن أين من يفهم قلبه هذه

---

(١) وهذه أيضًا تدل على أنهم كانوا يشركون في حال الرخاء ، وأنهم إذا أتاهم عذاب أو أتتهم الساعة فإنهم لا يدعون غير اللّٰه ، كما قال تعالى : ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ ، فهم في هذه الحال ينسون ما يشركون ، ولا يدعون سوى اللّٰه عز وجل .

(٢) وهذه أيضًا كالآيتين اللتين قبلها ، تدل على أن الإنسان إذا مسه الضر دعا ربه منيبًا إليه ، ولكنه إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل ، وجعل للّٰه أندادًا ليضل عن سبيله ، فيشرك في حال الرخاء ، ويخلص في حال الشدة .

(٣) هذه أيضًا كالآيات السابقة تدل على أن هؤلاء المشركين إنما يشركون بالله في حال الرخاء ، أما في حال الشدة فيلجئون للّٰه وحده .

(٤) يبين رحمه اللّٰه أن المشركين في زمانه أشد شركًا من مشركي زمان رسول اللّٰه ﷺ ؛ لأن مشركي زمانه يدعون غير اللّٰه في الرخاء وفي الشدة ، وأما المشركون في عهد الرسول ﷺ ، فإنهم يدعون اللّٰه ويدعون غيره في حال الرخاء ، وأما في حال الشدة فلا يدعون إلا اللّٰه عز وجل ، وهذا يدل على أن شرك المشركين في زمانه رحمه اللّٰه أعظم من شرك المشركين في عهد رسول اللّٰه ﷺ .

المسألة فهمًا راسخًا؟ والله المستعان[1].

الأمر الثاني:

أن الأولين يدعون مع الله أُناسًا مقربين عند الله، إمَّا أنبياء، وإمَّا أولياء، وإمَّا ملائكة، أو يدعون أشجارًا، أو أحجارًا مطيعةً لله ليست عاصية. وأهل زماننا يدعون مع الله أناسًا من أفسق الناس، والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور من الزنا والسرقة، وترك الصلاة وغير ذلك[2].

والذي يعتقد في الصالح أو الذي لا يعصي - مثل الخشب والحجر - أهون ممن يعتقد فيمن يُشاهد فسقه وفساده ويشهد به.

إذا تحققت أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ أصح عقولًا، وأخفّ شركًا من هؤلاء، فاعلم أن لهؤلاء شبهة يوردونها على ما ذكرنا، وهي من أعظم شبههم، فأصغِ سمعك لجوابها وهي:

أنهم يقولون: إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا الله،

---

(١) قوله: «تبين له الفرق ... إلخ» هذا جواب قوله: «فمن فهم هذه المسألة ... إلخ» أي تبين له الفرق، بين مشركي زمانه - رحمه الله - والمشركين في عهد رسول الله ﷺ، وأن شرك الأولين أخف من شرك أهل زمانه، ولكن أين من يفهم قلبه ذلك، أكثر الناس في غفلة عن هذا، وأكثر الناس يلبس عليهم الحق بالباطل فيظنون الباطل حقًّا كما يظنون الحق باطلًا.

(٢) قوله: «الأمر الثاني» أي في بيان أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زمانه - رحمه الله - أن المشركين في عهد الرسول ﷺ، يدعون أناسًا مقربين من أولياء الله عز وجل أو يدعون أحجارًا أو أشجارًا مطيعة لله ذليلة له، أما هؤلاء - أعني المشركين في زمانه - فإنهم يدعون من يحكون عنهم الفجور والزنا والسرقة وغير ذلك من معاصي الله عز وجل، ومعلوم أن من يعتقد في الصالح، أو الجماد الذي لا يعصي الله تعالى أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه ويشهد به، وهذا ظاهر.

ويكذبون الرسول ﷺ ، وينكرون البعث ، ويكذّبون القرآن ، ويجعلونه سحرًا ، ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، ونُصدّق بالقرآن ، ونؤمن بالبعث ، ونصلي ونصوم ، فكيف تجعلوننا مثل أولئك ؟[١]

فالجواب : أنه لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدّق رسول الله ﷺ في شيء ، وكذّبه في شيء ، أنه كافر لم يدخل في الإسلام . وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه ، كمن أقرّ بالتوحيد ، وجحد وجوب الصلاة ، أو أقرّ بالتوحيد والصلاة ، وجحد وجوب الزكاة ، أو أقرّ بهذا كله ، وجحد الصوم ، أو أقرّ بهذا كله ، وجحد الحج .

ولمّا لم ينقد أناس في زمن النبي ﷺ للحج ، أنزل الله في حقهم ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧][٢] .

---

(١) في هذه الجملة يبين رحمه الله شبهة من أعظم شبههم ، ويجيب عنها فيقول : إذا تحققت أن المشركين في عهده عليه الصلاة والسلام أصح عقولًا وأخف شركًا من هؤلاء ، فاعلم أنهم يوردون شبهة حيث يقولون : إن المشركين في عهد الرسول ﷺ ، لا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، ولا يؤمنون بالبعث ولا الحساب ، ويكذبون القرآن ، ونحن (يعني مشركي زمانه) نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، ونصدق القرآن ، ونؤمن بالبعث ، ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة ، ونصوم رمضان ، فكيف تجعلوننا مثلهم ؟! وهذه شبهة عظيمة .

(٢) يقول رحمه الله : إنهم إذا قالوا هذا ، يعني أنهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ... إلخ ، يعني فكيف يكونون كفارًا ؟!

وجوابه أن يُقال :

إن العلماء أجمعوا على أن من كفر ببعض ما جاء به الرسول ﷺ وكذب به ، فهو كمن كذب بالجميع وكفر به ، ومن كفر بنبي من الأنبياء فهو كمن كفر بجميع الأنبياء لقول الله =

ومن أقرّ بهذا كله[1] وجحد البعث ، كفر بالإجماع ، وحلَّ دمه وماله ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ

= تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝١٥٠ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١]، وقوله تعالى في بني إسرائيل : ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥] . ثم ضرب المؤلف لذلك أمثلة :

المثال الأول : الصلاة فمن أقر بالتوحيد وأنكر وجوب الصلاة فهو كافر .

قوله : « أو أقر بالتوحيد ... إلخ » هذا هو :

المثال الثاني : وهو من أقر بالتوحيد والصلاة ، وجحد وجوب الزكاة ؛ فإنه يكون كافرًا .

المثال الثالث : من أقر بوجوب ما سبق وجحد وجوب الصوم ، فإنه يكون كافرًا .

المثال الرابع : من أقر بذلك كله وجحد وجوب الحج فإنه كافر ، واستدل المؤلف على ذلك بقوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ﴾ - يعني من كفر بكون الحج واجبًا أوجبه الله على عباده - ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧] .

قول المؤلف رحمه الله : « ولما لم ينقد ... إلخ » ظاهره أن للآية سبب نزول هو هذا ، ولم أعلم لما ذكره الشيخ دليلًا .

(١) قوله : « ومن أقر بهذا كله » أي بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ ، ووجوب الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، لكنه كذب بالبعث فإنه كافر بالله ؛ لقول الله تعالى : ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧] ، وقد حكى المؤلف رحمه الله الإجماع على ذلك .

وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١](١).

فإذا كان الله قد صرّح في كتابه: أن من آمن ببعض وكفر ببعض، فهو الكافر حقًّا، [وأنه يستحق ما ذكر][1] زالت هذه الشبهة، وهذه هي التي ذكرها بعض أهل الأحساء في كتابه الذي أرسل إلينا(٢).

ويقال أيضًا(٣): إذا كنت تقر أن من صدّق الرسول ﷺ في كل شيء، وجحد

(١) قوله: « كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ الآية » سبق الكلام على هذه الآية، وقد ساقها المؤلف مستدلًا بها على أن الإيمان ببعض الحق دون بعض كفر بالجميع، كما قرره بقوله.

(٢) لا أعلم عن هذا الكتاب شيئًا فليبحث عنه.

(٣) قوله: « ويقال أيضًا إذا كنت تقر أن من صدق الرسول ... إلخ » هذا جواب ثان، فإن مضمونه أنك إذا عرفت وأقررت بأن من جحد الصلاة والزكاة والصيام والحج والبعث كافر بالله العظيم، ولو أقر بكل ما جاء به الرسول ﷺ سوى ذلك، فكيف تنكر أن يكون من جحد التوحيد وأشرك بالله تعالى كافرًا؟ إن هذا لشيء عجيب؛ أن تجعل من جحد التوحيد مسلمًا، ومن جحد وجوب هذه الأشياء كافرًا، مع أن التوحيد هو أعظم ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام، وهو أعم ما جاءت به الرسل، فجميع الرسل قد أرسلت به، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وهو أصل هذه الواجبات التي يكفر من أنكر وجوبها؛ إذ لا تصح إلا به، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥، ٦٦]، فإذا كان من أنكر وجوب الصلاة، أو الزكاة، أو الصوم، أو الحج، أو أنكر البعث كافرًا، فمنكر التوحيد أشد كفرًا وأبين وأظهر.

[1] ما بين المعكوفين غير موجود في المطبوع، واستدركناه من مجموع رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

وجوب الصلاة ، أنه كافر حلال الدم والمال بالإجماع ، وكذلك إذا أقرَّ بكل شيء إلا البعث . وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان وصدق بذلك كله ، لا تختلف المذاهب فيه ، وقد نطق به القرآن ، كما قدمنا .

فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي ﷺ ، وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج ، فكيف إذا جحد الإنسان شيئًا من هذه الأمور كفر ، ولو عمل بكل ما جاء به الرسول ﷺ ؟! وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر؟ سبحان الله ، ما أعجب هذا الجهل !

ويقال - أيضًا -[(١)] : هؤلاء أصحاب رسول الله قاتلوا بني حنيفة وقد أسلموا مع النبي ﷺ ، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ويؤذنون ويصلون .

فإن قال : إنهم يقولون : إن مسيلمة نبيٌّ .

قلنا : هذا هو المطلوب ، إذا كان من رفع رجلًا إلى رتبة النبي ﷺ كفر ، وحل ماله ودمه ، ولم تنفعه الشهادتان ، ولا الصلاة ، فكيف بمن رفع شمسان ، أو يوسف ، أو صحابيًا ، أو نبيًا إلى مرتبة جبار السموات والأرض؟ سبحان الله ، ما أعظم شأنه ! ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٥٩] .

ويقال - أيضًا[(٢)]- : الذين حرَّقهم عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه بالنار كلهم

---

(١) قوله : « ويقال أيضًا هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ ... إلخ » هذا جواب ثالث ، ومضمونه أن الصحابة رضى الله عنهم قاتلوا مسيلمة وأصحابه ، واستحلوا دماءهم وأموالهم ، مع أنهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ، ويؤذنون ، ويصلون ، وهم إنما رفعوا رجلًا إلى مرتبة النبي ، فكيف بمن رفع مخلوقًا إلى مرتبة جبار السماوات والأرض ، أفلا يكون أحق بالكفر ممن رفع مخلوقًا إلى منزلة مخلوق آخر ؟ وهذا أمر واضح ، ولكن كما قال الله تعالى : ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٥٩] .

(٢) قوله : « ويقال أيضًا إن الذين حرَّقهم علي بن أبى طالب بالنار ... إلخ » ، هذا جواب رابع ، فقد كان هؤلاء يدَّعون الإسلام ، وتعلموا من الصحابة ، ومع ذلك لم يمنعهم هذا من =

يدّعون الإسلام، وهم من أصحاب علي رضي اللّه عنه، وتعلموا العلم من الصحابة، ولكن اعتقدوا في عليٍّ مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان وأمثالهما، فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم؟

أتظنون أن الصحابة يكفِّرون المسلمين؟ أم تظنون أن الاعتقاد في تاج وأمثاله لا يضر، والاعتقاد في عليٍّ بن أبي طالب يكفِّر؟!

ويقال – أيضًا – : بنو عبيد القدَّاح[1] الذين ملكوا المغرب ومصر في زمان بني العباس، كلهم يشهدون أن لا إله إلا اللّه، وأن محمدًا رسول اللّه، ويدَّعون الإسلام، ويصلون الجمعة والجماعة، فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه، أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم، وأن بلادهم بلاد حرب، وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين.

ويقال – أيضًا[2] – : إذا كان الأولون لم يكفروا، إلا لأنهم جمعوا بين الشرك

= الحكم بكفرهم، وتحريقهم بالنار؛ لأنهم قالوا في عليٍّ بن أبي طالب إنه إله؛ مثل ما يدعى هؤلاء بمن يؤلهونهم، كشمسان وغيره.

فكيف أجمع الصحابة رضي اللّه عنهم على قتل هؤلاء، أتظنون أن الصحابة رضي اللّه عنهم يجمعون على قتل من لا يحل قتله، وتكفير من ليس بكافر؟! ذلك لا يمكن، أم تظنون أن الاعتقاد في تاج وأمثاله لا يضر والاعتقاد في علي بن أبي طالب يضر.

(١) قوله: «ويقال أيضًا بنو عبيد القداح ... إلخ» هذا جواب خامس، وهو إجماع العلماء على كفر بني عبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر، وكانوا يشهدون أن لا إله إلا اللّه وأن محمد رسول اللّه، ويصلون الجمعة والجماعات، ويدَّعون أنهم مسلمين، ولكن ذلك لم يمنعهم من حكم المسلمين عليهم بالردة حين أظهروا مخالفة المسلمين في أشياء دون التوحيد، حتى قاتلوهم واستنقذوا ما بأيديهم.

(١) قوله: «ويقال أيضًا إذا كان الأولون لم يكفروا إلا لأنهم ... إلخ» هذا جواب سادس مضمونه أنه إذا كان الأولون لم يكفروا إلا حين جمعوا جميع أنواع الكفر من الشرك والتكذيب والاستكبار، فما معنى ذكر أنواع من الكفر في (باب حكم المرتد) كل نوع =

وتكذيب الرسول ﷺ والقرآن ، وإنكار البعث ، وغير ذلك ، فما معنى الباب الذي ذكر العلماء في كل مذهب : (باب حكم المرتد) ، وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه ؟ ثم ذكروا أنواعًا كثيرة ، كل نوع منها يكفِّر ويُحِلُّ دم الرجل وماله ، حتى إنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها ، مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه ، أو كلمة يذكرها على وجه المَزْح واللعب .

ويقال – أيضًا – : الذين قال الله فيهم[1] : ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟

= منها يكفر ، حتى ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها ، مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه ، أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب ، فلولا أن الكفر يحصل بفعل نوع منه ، وإن كان الفاعل مستقيمًا في جانب آخر ، لم يكن لذكر الأنواع فائدة .

يقول رحمه الله تعالى : ومما يدفع شبه هؤلاء ، هم الفقهاء في كل مذهب ، ذكروا في كتبهم (باب حكم المرتد) ، وذكروا أنواعًا كثيرة ، حتى ذكروا الكلمة يذكرها الإنسان بلسانه ولا يعتقدها بقلبه ، أو يذكرها على سبيل المزح ، ومع ذلك كفروهم وأخرجوهم من الإسلام بها ، وسيأتي لذلك مزيد بيان وإيضاح .

(١) قوله : « ويقال أيضًا الذين قال الله فيهم : ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ ...﴾ إلخ » :

هذا جواب سابع مضمونه واقعتان :

الأولى : أن الله تعالى حكم بكفر المنافقين الذين قالوا كلمة الكفر ، مع أنهم كانوا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلون ويزكون ويحجون ويجاهدون ويوحدون .

الثانية : أنه حكم بكفر المنافقين الذين استهزءوا بالله وآياته ورسوله ، وقالوا : « ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء ؛ أرغب بطونًا ، ولا أكذب ألسنًا ، ولا أجبن عند اللقاء »[1] يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القراء ، فأنزل الله فيهم : ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ ، فحكم بكفرهم بعد إيمانهم ، مع أنهم ذكروا أنهم كانوا يستهزءون ، ولم يقولوا ذلك على سبيل الجد ، وكانوا يصلون ويتصدقون ، ثم ذكر المؤلف رحمه الله أن الجواب على هذه الشبهة من أنفع ما في هذه الأوراق .

[1] **صحيح** : أخرجه الطبري (١٤/٣٣٣) ، وابن أبي حاتم (١٠٥٥٢) ، وغيرهم عن ابن عمر .

﴿كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٤] . أما سمعت اللَّه كفَّرهم بكلمة ، مع كونهم في زمن رسول اللَّه ﷺ ويجاهدون معه ويصلون ويزكون ويحجون ويوحدون ؟

وكذلك الذين قال اللَّه فيهم : ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦] . فهؤلاء الذين صرَّح اللَّه فيهم أنهم كفروا بعد إيمانهم وهم مع رسول اللَّه ﷺ في غزوة تبوك ، قالوا كلمةً ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح .

فتأمل هذه الشبهة وهي قولهم : تكفِّرون من المسلمين أناسًا يشهدون أن لا إله إلا اللَّه ، ويصلون ويصومون ؟ ثم تأمل جوابها ، فإنه من أنفع ما في هذه الأوراق .

ومن الدليل على ذلك(١)- أيضًا - : ما حكى اللَّه عن بني إسرائيل مع إسلامهم

---

(١) قوله : « ومن الدليل على ذلك » أي على أن الإنسان قد يقول أو يفعل ما هو كفر من حيث لا يشعر ، قول بني إسرائيل - مع إسلامهم وعلمهم وصلاحهم - لموسى عليه الصلاة والسلام : ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾ ، وقول أصحاب النبي ﷺ : « اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط » ، فقال رسول اللَّه ﷺ : « اللَّه أكبر ، إنها السنن ؛ قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨] ، « لتركبن سنن من كان قبلكم »[1] ، وهذا يدل على أن موسى ومحمدًا عليهما الصلاة والسلام قد أنكرا ذلك غاية الإنكار ، وهذا هو المطلوب ، فإن هذين النبيين الكريمين لم يقرا أقوامهما على هذا الطلب الذي طلبوه بل أنكراه .

وقد شبه بعض المشركين في هذا الدليل فقال : إن الصحابة وبني إسرائيل لم يكفروا بذلك ؟ وجواب هذه الشبهة : أن الصحابة وبني إسرائيل لم يفعلوا ذلك حين لقوا من الرسولين الكريمين إنكار ذلك .

---

[1] **صحيح** : أخرجه الترمذي (٢١٨٠) ، وأحمد (٥/٢١٨) ، وعبد الرزاق (٢٠٧٦٣) ، والحميدي (٨٤٨) ، وابن أبي شيبة (١٥/١٠١) ، والطيالسي (١٣٤٦) ، وأبو يعلى (١٤٤١) ، وابن أبي عاصم في « السنة » (٧٦) ، وابن حبان (٦٧٠٢) من طريق الزهري ، عن سنان بن أبي سنان ، عن أبي واقد الليثي به ، وإسناده صحيح .

وعلمهم وصلاحهم أنهم قالوا لموسى : ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨] ، وقول أناس من الصحابة : اجعل لنا ذات أنواطٍ ، فحلف النبي ﷺ أن هذا نظير قول بني إسرائيل : ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا﴾ [الأعراف: ١٣٨] .

ولكن للمشركين شبهة يُدْلون بها عند هذه القصة وهي أنهم يقولون : إن بني إسرائيل لم يكفروا بذلك . وكذلك الذين قالوا للنبي ﷺ : اجعل لنا ذات أنواط . لم يكفروا .

فالجواب : أن نقول : إن بني إسرائيل لم يفعلوا ذلك ، وكذلك الذين سألوا النبي ﷺ لم يفعلوا ذلك ، ولا خلاف أن بني إسرائيل لو فعلوا ذلك لكفروا .

وكذلك لا خلاف في أن الذين نهاهم النبي ﷺ لو لم يطيعوه ، واتخذوا ذات أنواط - بعد نهيه - لكفروا ، وهذا هو المطلوب .

ولكن هذه القصة تفيد : أن المسلم - بل العالم - قد يقع في أنواع من الشرك ، لا يدرى عنها ، فتفيد التعلّم والتحرُّز ، ومعرفة أن قول الجاهل : (التوحيد فهمناه) : أن هذا من أكبر الجهل ومكايد الشيطان[1] .

---

(١) هذا شروع في بيان ما تفيده هذه القصة ؛ أعني قصة الأنواط وبني إسرائيل من الفوائد :

الفائدة الأولى : أن الإنسان - وإن كان عالمًا - قد يخفى عليه بعض أنواع الشرك ، وهذا يوجب على الإنسان أن يتعلم ويعرف حتى لا يقع في الشرك وهو لا يدري ، وأنه إذا قال : أنا أعرف الشرك وهو لا يعرفه كان ذلك من أخطر ما يكون على العبد ؛ لأن هذا جهل مركب ، والجهل المركب شر من الجهل البسيط ؛ لأن الجاهل جهلًا بسيطًا يتعلم وينتفع بعلمه ، وأما الجاهل جهلًا مركبًا فإنه يظن نفسه عالما - وهو جاهل - فيستمر فيما هو عليه من العمل المخالف للشريعة .

وتفيد - أيضًا - : أن المسلم المجتهد[١] إذا تكلم بكلام كفر - وهو لا يدري- فنُبّه على ذلك فتاب من ساعته أنه لا يكفُر ؛ كما فعل بنو إسرائيل ، والذين سألوا النبي ﷺ.

وتفيد أنه لو لم يكفُر[٢] ، فإنه يُغلّظ عليه الكلام تغليظًا شديدًا ، كما فعل رسول الله ﷺ.

وللمشركين شبهة أخرى[٣] يقولون : إن النبي ﷺ أنكر على أسامة قتل من قال : لا إله إلا الله ، وكذلك قوله : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله » ، وأحاديث أخرى في الكفّ عمّن قالها ، ومراد هؤلاء الجهلة أن من قالها

---

(١) قوله : « وتفيد أيضًا أن المسلم المجتهد ... إلخ » هذه هي **الفائدة الثانية** : أن المسلم إذا قال ما يقتضي الكفر - جاهلًا بذلك - ثم نبه فانتبه وتاب في الحال ، فإن ذلك لا يضره ؛ لأنه معذور بجهله ، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها ، أما لو استمر على ما علمه من الكفر فإنه يحكم بما تقتضيه حاله .

(٢) قوله : « وتفيد أيضًا أنه لو لم يكفر ...إلخ » هذه هي **الفائدة الثالثة** : أن الإنسان وإن كان لا يدري عن الشيء إذا طلب ما يكون به الكفر ، فإنه يغلظ عليه تغليظًا شديدًا ؛ لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لأصحابه : « الله أكبر إنها السنن ، لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة »[1] ، وهذا إنكار ظاهر .

(٣) قوله : « وللمشركين شبهة أخرى ... إلخ » يعني للمشركين المشبّهين شبهة أخرى مع ما سبق من الشبهات ؛ وهي : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنكر على أسامة بن زيد رضي الله عنه قتل الرجل بعد أن قال لا إله إلا الله فقال : « أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله » وما زال يكررها عليه الصلاة والسلام على أسامة حتى قال أسامة : « تمنيت أني لم أكن أسلمت بعد »[2] وكذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله »[3] ، وأمثال ذلك من الأحاديث التى يستدلون بها على أن من قال : =

---

[1] ليس في رواية الحديث « حذو القذة بالقذة » .

[2] **متفق عليه** : البخاري (٤٢٦٩) ، ومسلم (٩٦) من حديث أسامة بن زيد .

[3] **متفق عليه** : البخاري (٢٥) ، ومسلم (٢٢) من حديث ابن عمر .

لا يُكفَّر ولا يُقتل ولو فعل ما فعل .

فيقال لهؤلاء المشركين الجهال : معلوم أن رسول الله ﷺ قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون : لا إله إلا الله ، وأن أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويصلون ويدّعون الإسلام ، وكذلك الذين حرّقهم عليٌّ بن أبي طالب بالنار[١] .

وهؤلاء الجهلة مُقِرُّون أنَّ من أنكر البعث كفر وقُتل ولو قال : لا إله إلا الله ، وأن من جحد شيئًا من أركان الإسلام كفر وقتل ولو قالها ، فكيف لا تنفعه إذا جحد فرعًا من الفروع ، وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أصل دين الرسل ورأسه[٢] ، ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث .

= « لا إله إلا الله » لا يكفر ولا يقتل وإن كان على الشرك من جهة أخرى ، وهذا من الجهل العظيم ، فليس قول : « لا إله إلا الله » منجيًا من عذاب النار ومخلصًا للإنسان من الشرك إذا كان يشرك من جهة أخرى .

(١) قوله : « فيقال لهؤلاء المشركين الجهال ... إلخ » هذا جواب الشبهة التي أوردها هؤلاء الجهال فيما سبق وجوابها بما يلي :

أولًا : أن النبي ﷺ قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون : لا إله إلا الله .

ثانيًا : أن الصحابة قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ويصلون ويدَّعون أنهم مسلمون .

ثالثًا : أن الذين حرقهم علي بن أبي طالب كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله .

(٢) قوله : « وهؤلاء الجهلة مقرون أن من أنكر البعث ... إلخ » هذا إلزام لهؤلاء الجهال واحتجاج عليهم بمثل ما قالوا به ، فقد قالوا : إن من أنكر البعث فإنه يقتل كافرًا ، ويقولون : من جحد وجوب شيء من أركان الإسلام ، فإنه يحكم بكفره ويقتل وإن قال : لا إله إلا الله ، فكيف لا يكفر ولا يقتل من يجحد التوحيد الذي هو أساس الدين وإن قال : لا إله إلا الله ؟ ! أفلا يكون هذا أحق بالتكفير ممن جحد وجوب الصلاة ، أو وجوب الزكاة ؟ ! ، وهذا إلزام صحيح لا محيد عنه .

فأمَّا حديث أسامة فإنه قتل رجلًا ادّعى الإسلام ، بسبب أنه ظن أنه ما ادّعى الإسلام إلا خوفًا على دمه وماله ، والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبيّن منه ما يخالف ذلك ، وأنزل اللَّه تعالى فى ذلك : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ [النّساء: ٩٤] أى فتثبتوا ، فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت ، فإذا تبيّن منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل لقوله تعالى : ﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾ [النّساء: ٩٤] .

ولو كان لا يُقتل إذا قالها لم يكن للتثبت معنى[١] .

وكذلك الحديث الآخر وأمثاله ، معناه ما ذكرناه أنّ من أظهر التوحيد والإسلام وجب الكف عنه إلا أن يُتبيَّن منه ما يناقض ذلك ، والدليل على هذا أن رسول اللَّه ﷺ قال : « أقتلته بعدما قال : لا إله إلا اللَّه ؟ » ، وقال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا :

---

(١) قوله : « ولكن أعداء اللَّه ما فهموا معنى الأحاديث ... إلخ » .

يعنى الأحاديث التى شبهوا بها ، ثم أخذ رحمه اللَّه يبين معناها فقال :

فأما حديث أسامة ، يعني الحديث الذي قتل فيه أسامة رضى اللَّه عنه من قال لا إله إلا اللَّه حين لحقه أسامة ليقتله وكان مشركًا ، فقال : « لا إله إلا اللَّه » ، فقتله أسامة لظنه أنه لم يكن مخلصًا في قوله وإنما قاله تخلصًا ، فليس فيه دليل على أن كل من قال : « لا إله إلا اللَّه » فهو مسلم ومعصوم الدم ، ولكن فيه دليل على أنه يجب الكف عمن قال : « لا إله إلا اللَّه » ، ثم بعد ذلك ينظر في حاله حتى يتبين ، واستدل المؤلف لذلك بقوله تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ [النّساء: ٩٤] الآية ، فأمر اللَّه تبارك وتعالى بالتبين أي التثبت ، وهذا يدل على أنه إذا تبين أن الأمر كان خلاف ما كان عليه فإنه يجب أن يعامل بما يتبين من حاله ، فإذا بان منه ما يخالف الإسلام قتل ، ولو كان لا يقتل مطلقًا إذا قالها لم يكن فائدة للأمر بالتثبت .

وعلى كل حال فإن حديث أسامة رضى اللَّه عنه ليس فيه دليل على أن من قال : « لا إله إلا اللَّه » وهو مشرك يعبد الأصنام والملائكة والجن وغير ذلك يكون مسلمًا .

لا إله إلا الله » هو الذي قال في الخوارج : « أينما لقيتموهم فاقتلوهم ، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد » مع كونهم من أكثر الناس عبادة ، وتهليلًا وتسبيحًا ، حتى إن الصحابة يحقرون أنفسهم[1] عندهم ، وهم تعلّموا العلم من الصحابة ، فلم تنفعهم لا إله إلا الله ، ولا كثرة العبادة ، ولا ادّعاء الإسلام لمّا ظهر منهم مخالفة الشريعة(١) .

وكذلك ما ذكرناه من قتال اليهود وقتال الصحابة بني حنيفة ، وكذلك أراد ﷺ أن يغزو بني المصطلق لمّا أخبره رجل منهم أنهم منعوا الزكاة ، حتى أنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦] ، وكان الرجل كاذبًا عليهم[2] ، وكل هذا يدل على أن مراد النبي ﷺ في الأحاديث التي احتجوا بها ما ذكرناه(٢) .

ولهم شبهة أخرى : وهي ما ذكر النبي ﷺ أن الناس يوم القيامة يستغيثون

---

(١) قوله : « وكذلك الحديث الآخر وأمثاله » يريد بالحديث الآخر قوله ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس ... إلخ » فبين رحمه الله تعالى أن معنى الحديث أن من أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين أمره ، لقوله تعالى : ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ ؛ لأن الأمر بالتبين يحتاج إليه إذا كنا في شك من ذلك ، أما لو كان قوله : « لا إله إلا الله » بمجرده عاصمًا من القتل فإنه لا حاجة إلى التبين ، ثم استدل المؤلف رحمه الله لما ذهب إليه بأن الذي قال لأسامة : « أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله » وقال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ...» هو الذي أمر بقتال الخوارج وقال : « أينما لقيتموهم فاقتلوهم »[3] مع أن الخوارج يصلون ويذكرون الله ويقرءون القرآن ، وهم قد تعلموا من الصحابة رضى الله عنهم ، ومع ذلك لم ينفعهم ذلك شيئًا ؛ لأن الإيمان لم يصل إلى قلوبهم ، كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « إنه لا يجاوز حناجرهم »[3] .

(٢) وهو أن مجرد قول : « لا إله إلا الله » ليس مانعًا من القتل ، بل يجوز قتال من قالها إذا وجد سبب يقتضي قتاله .

---

[1] في المطبوع من مجموع رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله : « صلاتهم » مكان « أنفسهم » .

[2] **ضعيف** : أخرجه الطبري (١٢٣/٢٦) عن أم سلمة ، وفيه موسى بن عبيدة ضعيف .

[3] **متفق عليه** : البخاري (٣٦١١) ، ومسلم (١٠٦٦) من حديث علي بن أبي طالب .

بآدم ، ثم بنوح ، ثم بإبراهيم ، ثم بموسى ، ثم بعيسى ، فكلهم يعتذر حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ ، قالوا : فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركًا .

والجواب أن نقول : سبحان من طبع على قلوب أعدائه ، فإن الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه لا ننكرها ، كما قال الله تعالى في قصة موسى : ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥] .

وكما يستغيث الإنسان بأصحابه فى الحرب أو غيره فى أشياء يقدر عليها المخلوق ، ونحن أنكرنا استغاثة العبادة التى يفعلونها عند قبور الأولياء ، أو فى غيبتهم فى الأشياء التى لا يقدر عليها إلا الله[١] .

إذا ثبت ذلك فاستغاثتهم بالأنبياء يوم القيامة ؛ يريدون منهم أن يدعوا الله أن يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف ، وهذا جائز فى الدنيا والآخرة ، وذلك أن تأتى عند رجل صالح حي يجالسك ويسمع كلامك ، فتقول له : ادعُ الله لي ، كما كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه ذلك فى حياته ، وأمَّا بعد موته فحاشا وكلا أنهم سألوه ذلك عند قبره ، بل أنكر السلف الصالح على من قصد دعاء الله عند قبره ، فكيف بدعائه نفسه[٢] ؟!

---

(١) قوله : « ولهم شبهة أخرى » يعني في أن الاستغاثة بغير الله ليست شركًا ، وقد أجاب عنها بجوابين :

الأول : أن هذه استغاثة بمخلوق فيما يقدر عليه ، وهذا لا ينكر ؛ لقوله تعالى في قصة موسى : ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِ﴾ .

الجواب الثاني : أن الناس لم يستغيثوا بهؤلاء الأنبياء الكرام ليزيلوا عنهم الشدة ، ولكنهم يستشفعون بهم عند الله عز وجل ليزيل هذه الشدة ، وهناك فرق بين من يستغيث بالمخلوق ليكشف عنه الضرر والسوء ، ومن يستشفع بالمخلوق إلى الله ليزيل الله عنه ذلك .

(٢) قوله : « إذا ثبت ذلك فاستغاثتهم بالأنبياء ... إلخ » هذا هو الجواب الثاني وهو أن استغاثتهم بالأنبياء من باب طلب دعائهم إلى الله عز وجل أن يريح الخلق من هذا الموقف العظيم ، وليس دعاء لهم ، بل طلب دعائهم لربهم عز وجل ، وهذا أمر جائز ، كما أن الصحابة =

....

= رضى اللّه عنهم يسألون النبي ﷺ أن يدعو اللّه لهم ، ففى الصحيحين من حديث أنس رضى اللّه عنه أن رجلًا دخل المسجد يوم الجمعة - والنبي صلى اللّه عليه وآله وسلم يخطب - فقال : « يا رسول اللّه هلكت الأموال وانقطعت السبل ، فادع اللّه يغيثنا » ، ولم يقل فأغثنا يا رسول اللّه ، بل قال : « فادع اللّه يغيثنا » ، فرفع النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم يديه وقال : « اللهم أغثنا » ثلاث مرات ، فأنشأ اللّه سبحانه وتعالى سحابة فأمطرت ، ولم يروا الشمس أسبوعًا كاملًا والمطر ينهمر ، وفى الجمعة التالية دخل رجل أو الرجل الأول فقال : « يا رسول اللّه غرق المال ، وتهدم البناء فادع اللّه تعالى يمسكها عنا » فدعا النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم ربه وقال : « اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ، ومنابت الشجر »[1] ، فانفرجت السماء وخرج الصحابة يمشون في الشمس .

فهذا طلب دعاء من رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم للّه عز وجل ، وليس دعاء لرسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم ولا استغاثة به ، وبهذا يعرف أن هذه الشبهة التى لبس بها هؤلاء شبهة لا تنفعهم بل هي حجة داحضة عند اللّه عز وجل .

ثم ذكر المؤلف رحمه اللّه أنه لا بأس أن تأتى لرجل صالح تعرفه وتعرف صلاحه فتسأله أن يدعو اللّه لك ، وهذا حق إلا أنه لا ينبغى للإنسان أن يتخذ ذلك ديدنًا له كلما رأى رجلًا صالحًا قال : ادع اللّه لى ، فإن هذا ليس من عادة السلف رضى اللّه عنهم ، وفيه : اتكال على دعاء الغير ، ومن المعلوم أن الإنسان إذا دعا ربه بنفسه كان خيرًا له لأنه يفعل عبادة يتقرب بها إلى اللّه عز وجل، فإن الدعاء من العبادة كما قال اللّه تعالى : ﴿ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ﴾ [غافر : ٦٠] الآية ، والإنسان إذا دعا ربه بنفسه فإنه ينال أجر العبادة ثم يعتمد على اللّه عز وجل في حصول المنفعة ودفع المضرة ، بخلاف ما إذا طلب من غيره أن يدعو اللّه له فإنه يعتمد على ذلك الغير ، وربما يكون تعلقه بهذا الغير أكثر من تعلقه بالله عز وجل ، وهذا الأمر فيه خطورة ، وقد قال شيخ الإسلام رحمه اللّه : « إذا طلب الإنسان من شخص أن يدعو له فإن هذا من المسألة المذمومة » ، فينبغي للإنسان إذا طلب من شخص أن يدعو له أن ينوى بذلك نفع ذلك الغير بدعائه له ، فإنه يؤجر على هذا ، وربما ينال ما جاء به =

---

[1] متفق عليه : البخاري (٩٣٣) ، ومسلم (٨٩٧) .

ولهم شبهة[(١)] أخرى وهى : قصة إبراهيم عليه السلام لمَّا ألقى فى النار ، اعترض له جبريل فى الهواء فقال له : ألك حاجة ؟ فقال إبراهيم : أمَّا إليك فلا ، قالوا : فلو كانت الاستغاثة بجبريل شركًا لم يعرضها على إبراهيم .

فالجواب : أن هذا من جنس الشبهة الأولى : فإن جبريل عرض عليه أن ينفعه بأمرٍ يقدر عليه ، فإنه كما قال اللَّه تعالى فيه : ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥] ، فلو أذن اللَّه له أن يأخذ نار إبراهيم وما حولها من الأرض والجبال ويلقيها فى المشرق أو المغرب لفعل ، ولو أمره أن يضع إبراهيم فى مكان بعيد عنهم لفعل ، ولو أمره أن يرفعه إلى السماء لفعل ، وهذا كرجل غنى له مال كثير يرى رجلًا محتاجًا ، فيعرض عليه أن يقرضه أو أن يهبه شيئًا يقضى به حاجته ، فيأبى ذلك الرجل المحتاج أن

= الحديث : «أن الرجل إذا دعا لأخيه بظهر الغيب قالت الملائكة : آمين ولك بمثلها»[1] .

(١) قوله : «ولهم شبهة أخرى وهي قصة إبراهيم عليه السلام لما ألقى في النار[2] ... إلخ» .

والجواب عن هذه الشبهة :

أن جبريل إنما عرض عليه أمرًا ممكنًا يمكن أن يقوم به ، فلو أذن اللَّه لجبريل لأنقذ إبراهيم بما أعطاه اللَّه تعالى من القوة ، فإن جبريل - كما وصفه اللَّه تعالى -: ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ فلو أمره اللَّه أن يأخذ نار إبراهيم وما حولها ويلقيها في المشرق أو المغرب لفعل ، ولو أمره أن يحمل إبراهيم إلى مكان بعيد عنهم لفعل ، ولو أمره أن يرفعه إلى السماء لفعل .

ثم ضرب المؤلف بهذا مثلًا : رجل غنى أتى إلى فقير فقال : هل لك حاجة في المال ؟ من قرض أو هبة أو غير ذلك ؟ فإنما هذا مما يقدر عليه ، ولا يُعَد هذا شركًا ؛ لو قال : نعم لى حاجة أقرضنى ، أو هبنى لم يكن مشركًا .

---

[1] أخرجه مسلم (٢٧٣٢) عن أبي الدرداء .

[2] هذه القصة من كلام بعض السلف أخرجها الطبري (٤٢/٩) من طريق معتمر بن سليمان عن بعض أصحابه ، وأخرجها أبو نعيم في الحلية (٢٠/١) عن سعيد ومقاتل ، وفي «تاريخ دمشق» (٦/ ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤) .

يأخذ ، ويصبر إلى أن يأتيه الله برزق لا منة فيه لأحد ، فأين هذا من استغاثة العبادة والشرك لو كانوا يفقهون ؟

ولنختم الكلام(١) إن شاء الله تعالى بمسألة عظيمة مهمة جدًا تُفْهَم ممّا تقدم ، ولكن نفرد لها الكلام لعظم شأنها ولكثرة الغلط فيها ؛ فنقول : لا خلاف أن التوحيد لابد أن يكون بالقلب واللسان والعمل ، فإن اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلمًا ، فإن عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند ، كفرعون وإبليس وأمثالهما .

وهذا يغلط فيه كثير من الناس يقولون : هذا حق ونحن نفهم هذا ، ونشهد أنه الحق ، ولكنا لا نقدر أن نفعله ، ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا من وافقهم ، وغير ذلك من الأعذار(٢) .

---

(١) ختم المؤلف هذه الشبهات بمسألة عظيمة هي :
أنه لابد أن يكون الإنسان موحدًا بقلبه وقوله وعمله ، فإن كان موحدًا بقلبه ، ولكنه لم يوحد بقوله أو بعمله ، فإنه غير صادق في دعواه ، لأن توحيد القلب يتبعه توحيد القول والعمل ؛ لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب »[1] . فإذا وحدَّ الله – كما زعم – بقلبه ، ولكنه لم يوحده بقوله أو فعله ، فإنه من جنس فرعون الذين كان مستيقنًا بالحق عالمًا به ، لكنه أصر وعاند وبقي على ما كان عليه من دعوى الربوبية ، قال الله تعالى : ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤] ، وقال تعالى عن موسى أنه قال لفرعون : ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢] .

(٢) قوله : « وهذا يغلط فيه كثير من الناس ... إلخ » يعني أن كثيرًا من الناس يعرف الحق في هذا ويقولون نحن نعرف أن هذا هو الحق ولكننا لا نقدر عليه لمخالفته أهل بلدنا ونحو ذلك من الأعذار ، وهذا العذر لا ينفعهم عند الله عز وجل ؛ لأن الواجب على المرء أن يلتمس رضا الله – عز وجل – ولو سخط الناس ، وأن لا يتبع رضا الناس بسخط الله عز وجل ، وهذا يشبه من يحتجون بما كان عليه آباؤهم – وهم الذين حكى الله عنهم =

---

[1] متفق عليه : البخاري (٥٢) ، ومسلم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير .

ولم يدر المسكين[١] أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحقَّ ، ولم يتركوه إلا لشيء من الأعذار ، كما قال تعالى : ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [التوبة: ٩] ، وغير ذلك من الآيات ، كقوله : ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦] .

فإن عمل بالتوحيد عملًا ظاهرًا[٢] وهو لا يفهمه أو لا يعتقده بقلبه ، فهو منافق ، وهو شرٌّ من الكافر الخالص ؛ لقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥] .

= ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢] ، والآية الأخرى ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣] .

(١) قوله : « ولم يدر المسكين » أي المعدم من الفقه والبصيرة أن غالب أئمة الكفر كانوا يعرفون الحق ، لكنهم عاندوا فخالفوا الحق، كما قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ ، وقال : ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ ، فكانوا يعتذرون بأعذار لا تنفعهم ؛ كخوف بعضهم من فوات الرئاسة ، وتصدر المجالس ، ونحو ذلك .

فكثير من أئمة الكفار يعرفون الحق ، ولكنهم يكرهونه ولا يتبعونه ، ومعرفة الحق دون العمل به أشد من الجهل بالحق ؛ لأن الجاهل بالحق يعذر ، وقد يُعَلَّم ، فيتنبه ويتعلم ، بخلاف المعاند المستكبر ؛ ولهذا كان اليهود مغضوبًا عليهم لعلمهم بالحق وتركهم إياه ، وكان النصارى ضالين لأنهم لم يعرفوا الحق ، لكن بعد بعثة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان النصارى عالمين ، فكانوا مثل اليهود في كونهم مغضوبًا عليهم .

(٢) يقول رحمه الله : فإن عمل بالتوحيد ظاهرًا أي باللسان والجوارح ، ولكنه لم يعتقده بقلبه ولم يفهمه فإنه منافق ، وهو شر من الكافر المصرح بكفره لقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ ، وهذا ظاهر فيمن كان معاندًا يعلم الحق ولكنه كرهه بقلبه ولم يطمئن إليه ، ولم يستقر به ، ولكنه أظهر الالتزام بالشريعة خداعًا لله ولرسوله وللمؤمنين ، وأما من كان لا يفهمه بالكلية ولا يدرى ، ولكنه يعمل كما يعمل الناس ، ولم يتبين له ذلك الشيء الذي يعملونه والمقصود منه ، فإن الواجب أن يُبَلَّغ ويُعَلَّم ، فإن أصر على ما هو عليه من إنكاره بقلبه فهو منافق .

وهذه المسألة كبيرة طويلة[1] تتبين لك إذا تأملتها في ألسنة الناس ، ترى من يعرف الحق ويترك العمل به ، لخوف نقص دنيا أو جاه أو مداراة لأحد ، وترى من يعمل به ظاهرًا لا باطنًا ، فإذا سألته عما يعتقد بقلبه ، فإذا هو لا يعرفه ، ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله :

أولاهما[2] : قوله تعالى : ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦] ، فإذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزوا الروم مع رسول الله ﷺ ، كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه المزح واللعب ، تبيّن لك أن الذي يتكلم بالكفر أو يعمل به خوفًا من نقص مال أو جاه أو مداراة لأحد ، أعظم ممن يتكلم بكلمة يمزح بها .

والآية الثانية[3] : قوله تعالى : ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ

---

(١) بيّن رحمه الله : أن هذه المسألة مسألة كبيرة طويلة ، يعني أن تتبعها يطول ، بواسطة أن كثيرًا من الناس قد يأبى الحق خوفًا من أن يلام عليه ، أو رجاء لجاه أو دنيا ، فيحتاج أن يتتبع أحوال الناس ويعرفها تمامًا حتى يعلم من هو منافق ومن هو مؤمن إيمانًا خالصًا .

(٢) يحث المؤلف رحمه الله تعالى على تدبر آيتين من كتاب الله عز وجل :
أولاهما قوله تعالى : ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ ، وهذه الآية نزلت في المنافقين الذين سبوا رسول الله ﷺ وأصحابه القراء .
فالمؤلف رحمه الله يقول : إذا كان هؤلاء المنافقون الذين غزوا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك كفروا بكلمة قالوها على سبيل المزاح لا على سبيل الجد ، فما بالك بمن يكفر كفرًا جديًا ، يريده بقلبه من أجل خوف فوات مركز ، أو جاه ، أو ما أشبه ذلك ؟ فإنه يكون أعظم وأعظم ، فالواقع أن كلهم كفروا بعد إيمانهم ، سواء فعلوا ذلك استهزاء ، أو فعلوه على سبيل الجد والكفر ، خوفًا أو رجاء ، فإن كل إنسان يظهر الإسلام ويبطن الكفر فهو منافق على أي وجه كان .

(٣) هذه هي الآية الثانية التي حث المؤلف - رحمه الله تعالى - على تدبرها ، وهذه الآية تدل على أنه لا يعذر أحد كفر بعد إيمانه إلا من كان مكرهًا ، وأما من كفر على سبيل الاختيار =

أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ [النحل: ١٠٦، ١٠٧] ، فلم يعذر اللَّه من هؤلاء إلا من أكره مع كون قلبه مطمئنًا بالإيمان ، وأمَّا غير هذا فقد كفر بعد إيمانه ، سواء فعله خوفًا أو مداراة ، أو مشحةً بوطنه أو أهله أو عشيرته أو ماله ، أو فعله على وجه المزح ، أو لغير ذلك من الأغراض إلا المكره .

فالآية تدل على هذا(١) من **جهتين :**

الأولى : قوله : ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾ [النحل: ١٠٦] فلم يستثن اللَّه تعالى إلا المكره ، ومعلوم أن الإنسان لا يكره إلا على الكلام أو الفعل ، وأمَّا عقيدة القلب فلا يكره عليها أحدٌ .

والثانية(٢) : قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى

= لأي غرض من الأغراض سواء كان مزاحًا ، أو مشحة في وظيفة ، أو دفاعًا عن وطن ، أو ما أشبه ذلك فإنه يكون كافرًا ، فالله عز وجل لم يعذر من كفر إلا من كان مكرهًا ، بشرط أن يكون قلبه مطمئنًا بالإيمان .

(١) أي أن اللَّه تعالى لم يستثن في الآية من الكافرين إلا من أكره ، والإكراه لا يكون إلا على القول أو الفعل ، أما عقيدة القلب فلا يطلع عليها إلا اللَّه ، ولا يُتصور فيها الإكراه ؛ لأنه لا يمكن لأحد أن يكره شخصًا فيقول : لا بد أن تعتقد كذا وكذا ؛ لأنه أمر باطن لا يُعلم به ، وإنما الإكراه على ما ظهر فقط بالقول أو الفعل .

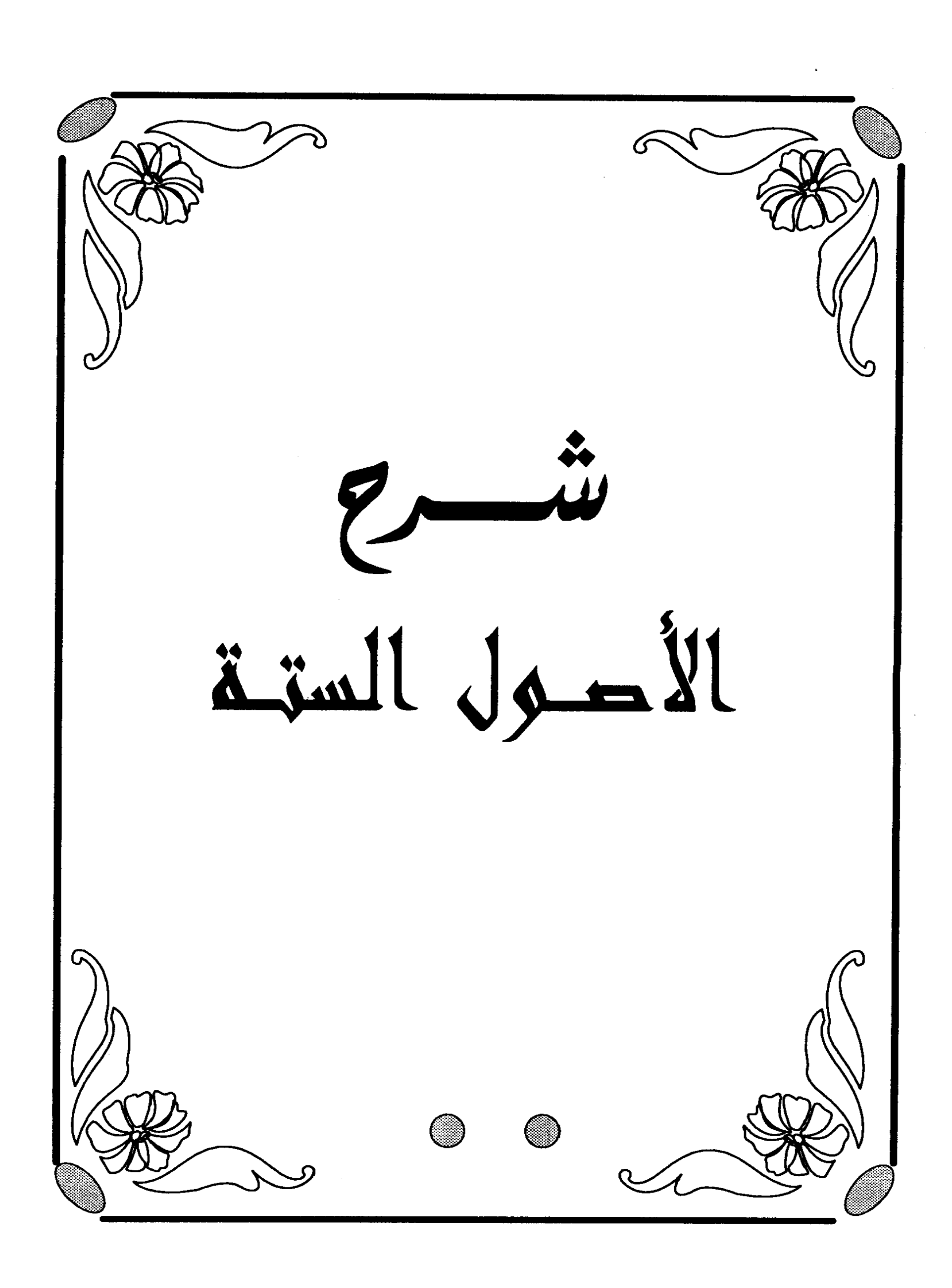
(٢) الوجه الثاني : أنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ، فكان كفرهم سببه أنهم استحبوا الدنيا على الآخرة ، ويعنى بالدنيا كل ما يتعلق بها من جاه ، أو مال ، أو رئاسة ، أو غير ذلك ممن آثر الدنيا بما فيها على الآخرة ، وكفره من أجل إيثار الدنيا فإنه يكون كافرًا ، وإن لم يكن مستحبًا للكفر ، ولكنه مستحب لحياة الدنيا فإنه يكفر ، وذلك أن بعض الناس يكفر لأنه يحب الكفر ويعجبه ، وبعض الناس يكفر لمال ، أو جاه ، أو رئاسة ، وبعض الناس يكفر ؛ لينال بذلك شيئًا من السلطان ، وما أشبه ذلك ، فالأغراض كثيرة .

نسأل اللَّه تعالى أن يهدينا الصراط المستقيم ، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا .

ٱلْآخِـرَةِ﴾ [النحل: ١٠٧] فصرَّح أن هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد أو الجهل أو البغض للدين أو محبة الكفر ، وإنَّما سببه أن له في ذلك حظًّا من حظوظ الدنيا فآثره على الدِّين ، واللَّه سبحانه وتعالى أعلم ، وصلى اللَّه على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم[١] .

* * * *

(١) ختم شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه اللَّه تعالى كتابه هذا برد العلم إلى اللَّه عز وجل والصلاة والسلام على نبيه محمد ﷺ ، وبهذا انتهى كتاب « كشف الشبهات » ، فنسأل اللَّه تعالى أن يثيب مؤلفه أحسن ثواب ، وأن يجعل لنا نصيبًا من أجره وثوابه ، وأن يجمعنا وإياه في دار كرامته ، إنه جواد كريم ، والحمد للَّه رب العالمين ، وصلى وسلم على نبينا محمد .



شرح
الأصول الستة

قال المُؤلفُ شيخُ الإسلامِ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

من أعجب العجاب ، وأكبر الآيات الدالة على قدرة الملك الغلاب : ستة أصول ، بينها اللَّه تعالى بيانًا واضحًا للعوام فوق ما يظن الظانون ، ثم بعد هذا غلط فيها كثير من أذكياء العالم وعقلاء بنى آدم إلا أقل القليل .

□ الشـــرح □

قوله : « بســم اللَّه » .

ابتدأ المؤلف رحمه اللَّه تعالى -كتابه بالبسملة اقتداء بكتاب اللَّه عز وجل فإنه مبدوء بالبسملة ، واقتداء برسول اللَّه ﷺ فإنه يبدأ كتبه ورسائله بالبسملة .

والجار والمجرور متعلق بفعل محذوف مؤخر مناسب للمقام ، تقديره هنا : بسم اللَّه أكتب .

وقدرناه فعلًا لأن الأصل فى العمل الأفعال .

وقدرناه مؤخرًا لفائدتين :

الأولى : التبرك بالبداءة باسم اللَّه تعالى .

الثانية : إفادة الحصر لأن تقديم المتعلق به يفيد الحصر .

وقدرناه مناسبًا لأنه أدل على المراد ، فلو قلنا مثلًا عندما نريد أن نقرأ كتابًا باسم اللَّه نبتدئ ، ما يدرى بماذا نبتدئ ، لكن بسم اللَّه نقرأ أدل على المراد .

قوله : « اللَّه » .

لفظ الجلالة علم على البارى جل وعلا ، وهو الاسم الذي تتبعه جميع الأسماء حتى إنه فى قوله تعالى : ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم : ١، ٢] ، لا نقول : إن لفظ الجلالة « اللَّه »

صفة ، بل نقول : هي عطف بيان ؛ لئلا يكون لفظ الجلالة تابعًا تبعية النعت للمنعوت ، ولهذا قال العلماء : أعرف المعارف لفظ (اللَّه) ؛ لأنه لا يدل على أحد سوى اللَّه عز وجل .

قوله : « الرحمن » .

الرحمن : اسم من الأسماء المختصة باللَّه لا يطلق على غيره .

ومعناه : المتصف بالرحمة الواسعة .

قوله : « الرحيم » .

الرحيم : اسم يطلق على اللَّه عز وجل وعلى غيره .

ومعناه : ذو الرحمة الواصلة ، فالرحمن ذو الرحمة الواسعة ، والرحيم ذو الرحمة الواصلة ، فإذا جمعا صار المراد بالرحيم الموصل رحمته إلى من يشاء من عباده ، كما قال اللَّه تعالى : ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ [العنكبوت: ٢١] والمراد بالرحمن الواسع الرحمة .

قوله : « ومن أعجب العجاب ، وأكبر الآيات الدالة على قدرة الملك الغلاب ستة أصول ..إلخ »

شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه اللَّه تعالى له عناية بالرسائل المختصرة التى يفهمها العامى وطالب العلم ، ومن هذه الرسائل هذه الرسالة (ستة أصول عظيمة) وهى :

الأصل الأول : الإخلاص وبيان ضده ، وهو الشرك .

الأصل الثانى : الاجتماع فى الدين ، والنهى عن التفرق فيه .

الأصل الثالث : السمع والطاعة لولاة الأمر .

الأصل الرابع : بيان العلم والعلماء ، والفقه والفقهاء ، ومن تشبه بهم وليس منهم .

الأصل الخامس : بيان من هم أولياء اللَّه .

الأصل السادس : رد الشبهة التى وضعها الشيطان فى ترك القرآن والسنة .

وهذه الأصول أصول مهمة جديرة بالعناية ، ونحن نستعين باللَّه تعالى فى شرحها والتعليق عليها بما يسر اللَّه .

الأصل الأول

إخلاص الدين للَّه تعالى وحده لا شريك له ، وبيان ضده الذي هو الشرك باللَّه ، وكون أكثر القرآن في بيان هذا الأصل من وجوه شتى بكلام يفهمه أبلد العامة ، ثم لما صار على أكثر الأمة ما صار ، أظهر لهم الشيطان الإخلاص في صورة تنقص الصالحين والتقصير في حقوقهم ، وأظهر لهم الشرك باللَّه في صورة محبة الصالحين وأتباعهم .

□ الشـــــرح □

قوله : « إخلاص الدين للَّه تعالى وحده لا شريك له ... » .

الإخلاص للَّه معناه : « أن يقصد المرء بعبادته التقرب إلى اللَّه تعالى والتوصل إلى دار كرامته » بأن يكون العبد مخلصًا للَّه تعالى في قصده ، مخلصًا للَّه تعالى في محبته ، مخلصًا للَّه تعالى في تعظيمه ، مخلصًا للَّه تعالى في ظاهره وباطنه ، لا يبتغي بعبادته إلا وجه اللَّه تعالى ، والوصول إلى دار كرامته ، كما قال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام : ١٦٢، ١٦٣] .

وقوله تعالى : ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ [الزُّمَر: ٥٤] .

وقوله : ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البَقَرة: ١٦٣] .

وقوله : ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا﴾ [الحَجّ: ٣٤] .

وقد أرسل اللَّه تعالى جميع الرسل بذلك ، كما قال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] .

وكما وضح اللَّه ذلك في كتابه ، كما قال المؤلف : « من وجوه شتى بكلام يفهمه أبلد العامة » ، فقد وضحه رسول اللَّه ﷺ فقد جاء عليه الصلاة والسلام بتحقيق التوحيد وإخلاصه وتخليصه من كل شائبة ، وسد كل طريق يمكن أن يوصل إلى ثلم هذا التوحيد أو إضعافه ، حتى إن رجلًا قال للنبي ﷺ : ما شاء اللَّه

وشئت . فقال النبي ﷺ : « أجعلتنى للَّه ندًا ، بل ما شاء اللَّه وحده »[1] فأنكر النبي ﷺ على هذا الرجل أن يقرن مشيئته بمشيئة اللَّه تعالى بحرف يقتضى التسوية بينهما ، وجعل ذلك من اتخاذ الند للَّه عز وجل ، ومن ذلك أيضًا أن النبي ﷺ حرم الحلف بغير اللَّه ، وجعل ذلك من الشرك باللَّه فقال ﷺ : « من حلف بغير اللَّه فقد كفر أو أشرك »[2] ؛ وذلك لأن الحلف بغير اللَّه تعظيم للمحلوف به بما لا يستحقه إلا اللَّه عز وجل ، وحينما قدم عليه وفد فقالوا : « يا رسول اللَّه ، يا خيرنا وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا » قال : « يا أيها الناس قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان ، أنا محمد عبد اللَّه ورسوله ، ما أحب أن ترفعونى فوق منزلتى التى أنزلنى اللَّه عز وجل »[3] وقد عقد المصنف رحمه اللَّه لذلك بابًا فى كتاب التوحيد ، فقال : « باب ما جاء فى حماية المصطفى ﷺ حمى التوحيد وسده طرق الشرك » .

وكما بين اللَّه تعالى الإخلاص وأظهره بين ضده ، وهو الشرك فقال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦] ، وقال تعالى : ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔاۖ﴾ [النساء: ٣٦] .

وقال : ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦] ، والآيات فى ذلك كثيرة . ويقول النبي ﷺ : « من لقى اللَّه لا يشرك به شيئًا دخل الجنة ، ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار »[4] رواه مسلم من حديث جابر .

---

[1] **حسن** . أخرجه ابن ماجه (٢١١٧) ، والبخاري في « الأدب » (٧٧٣) ، والنسائي في « اليوم والليلة » (٩٨٨) ، وأحمد (٢/ ٢١٤، ٢١٧، ٢٨٣، ٣٤٧) من حديث ابن عباس ، وانظر تحقيقي لكتاب « إغاثة اللهفان » (ص٧٢٨ - ٧٢٩) .

[2] **صحيح** . أخرجه أبو داود (٣٢٥١) ، والترمذي (٤٥٣٥) ، وأحمد (٣٤/٢) ، وصححه الألباني في « صحيح أبي داود » .

[3] **صحيح** . أخرجه أحمد (٣/ ١٥٣، ٢٤١) ، والنسائي في « الكبرى » (١٠٠٧٨) ، وعبد بن حميد (١٣٣٧- المنتخب) وغيرهم عن حماد بن سلمة عن حميد عن أنس به .
وصححه الألباني في « الصحيحة » (١٥٧٢) .

[4] أخرجه مسلم (٩٣) من حديث جابر ، والبخاري (١٢٩) بنحوه عن أنس .

والشرك على نوعين :

النوع الأول : شرك أكبر مخرج عن الملة وهو : « كل شرك أطلقه الشارع وهو مناف للتوحيد منافاة مطلقة » مثل أن يصرف شيئًا من أنواع العبادة لغير اللَّه ، بأن يصلي لغير اللَّه أو يذبح لغير اللَّه ، أو ينذر لغير اللَّه ، أو أن يدعو غير اللَّه تعالى ، مثل أن يدعو صاحب قبر ، أو يدعو غائبًا لإنقاذه من أمر لا يقدر عليه إلا الحاضر . وأنواع الشرك معلومة فيما كتبه أهل العلم .

النوع الثاني : الشرك الأصغر وهو : « كل عمل قولي أو فعلي أطلق عليه الشارع وصف الشرك لكنه لا ينافي التوحيد منافاة مطلقة » مثل الحلف بغير اللَّه ، فالحالف بغير اللَّه الذي لا يعتقد أن لغير اللَّه تعالى من العظمة ما يماثل عظمة اللَّه مشرك شركًا أصغر ، ومثل الرياء وهو خطير ، قال فيه النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : « أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر فسئل عنه ؟ فقال الرياء »[1]، وقد يصل الرياء إلى الشرك الأكبر ، وقد مثل ابن القيم رحمه اللَّه للشرك الأصغر بيسير الرياء ، وهذا يدل على أن كثير الرياء قد يصل إلى الشرك الأكبر ، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦] . يشمل كل شرك ولو كان أصغر ، فالواجب الحذر من الشرك مطلقًا فإن عاقبته وخيمة ، قال اللَّه تعالى : ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢] ، فإذا حرمت الجنة على المشرك لزم أن يكون خالدًا في النار أبدًا ، فالمشرك باللَّه تعالى قد خسر الآخرة – لا ريب – لأنه في النار خالدًا ، وخسر الدنيا لأنه قامت عليه الحجة وجاءه النذير ، ولكنه خسر ، لم يستفد من الدنيا شيئًا ، قال اللَّه تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥] . فخسر نفسه ؛ لأنه لم يستفد منها شيئًا ، وأوردها النار وبئس الورد المورود ، وخسر أهله ؛ لأنهم إن كانوا مؤمنين فهم في الجنة فلا يتمتع بهم ، وإن كانوا في النار فكذلك ؛ لأنه

[1] صحيح . أخرجه أحمد (٥/ ٤٢٨، ٤٢٩) عن محمود بن لبيد ، وصححه الألباني في « الصحيحة » (٩٥١) .

كلما دخلت أمة لعنت أختها .

واعلم أن الشرك خفى جدًّا ، وقد خافه خليل الرحمن وإمام الحنفاء ، كما حكى اللَّه عنه : ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] . وتأمل قوله : ﴿وَٱجْنُبْنِى﴾ [إبراهيم: ٣٥] ، ولم يقل : « وامنعنى » لأن معنى اجنبنى أى اجعلنى فى جانب وعبادة الأصنام فى جانب ، وهذا أبلغ من امنعنى ؛ لأنه إذا كان فى جانب وهى فى جانب ، كان أبعد ، وقال ابن أبى مليكة : « أدركت ثلاثين من أصحاب رسول اللَّه ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه »[1] وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى اللَّه عنه لحذيفة بن اليمان : « أنشدك اللَّه هل سمانى لك رسول اللَّه ﷺ مع من سمى من المنافقين »[2] .

مع أن الرسول ﷺ بشره بالجنة ، ولكنه خاف أن يكون ذلك لما ظهر لرسول اللَّه ﷺ من أفعاله فى حياته ، فلا يأمن النفاق إلا منافق ، ولا يخاف النفاق إلا مؤمن ، فعلى العبد أن يحرص على الإخلاص ، وأن يجاهد نفسه عليه ، قال بعض السلف : « ما جاهدت نفسي على شيء ما جاهدتها على الإخلاص » فالشرك أمره صعب جدًّا ليس بالهين ولكن اللَّه ييسر الإخلاص على العبد ، وذلك بأن يجعل اللَّه نصب عينيه فيقصد بعمله وجه اللَّه .

* * * *

---

[1] أخرجه البخاري كتاب الإيمان ، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله ، ووصله ابن أبي خيثمة في تاريخه ، ومحمد بن نصر المروزي في كتاب الإيمان ، وأبو زرعة الدمشقي في تاريخه مختصرًا .

[2] انظر « هدي الساري » في (ص٤٠٤) في رد الحافظ على الفسوي لتضعيفه هذه الرواية .

الأصل الثانى

أمر الله بالاجتماع فى الدين ونهى عن التفرق فيه ، فبيّن الله هذا بيانًا شافيًا كافيًا تفهمه العوام ، ونهانا أن نكون كالذين تفرقوا واختلفوا قبلنا فهلكوا ، وذكر أنه أمر المسلمين بالاجتماع فى الدين ونهاهم عن التفرق فيه ، ويزيده وضوحًا ما وردت به السنة من العجب العجاب فى ذلك ، ثم صار الأمر إلى أن الافتراق فى أصول الدين وفروعه هو العلم والفقه فى الدين ، وصار الأمر بالاجتماع فى الدين لا يقوله إلا زنديق أو مجنون .

□ الشــــرح □

قوله : « أمر الله بالاجتماع فى الدين ونهى عن التفرق فيه ... إلخ » .

الأصل الثانى من الأصول التى ساقها الشيخ – رحمه الله تعالى – الاجتماع فى الدين والنهى عن التفرق فيه ، وهذا الأصل العظيم قد دل عليه كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ ، وعمل الصحابة رضى الله عنهم والسلف الصالح رحمهم الله تعالى :

أما كتاب الله تعالى : فقد قال الله – عز وجل– : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران : ١٠٢، ١٠٣] .

وقال تعالى : ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥] . وقال تعالى : ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ﴾ [الأنفال: ٤٦] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍۚ﴾ [الأنعام: ١٥٩] ، وقال تعالى : ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشورى: ١٣] .

ففى هذه الآيات نهى اللّٰه تعالى عن التفرق وبين عواقبه الوخيمة على الفرد والمجتمع والأمة بأسرها .

وأما دلالة السنة على هذا الأصل العظيم : فقد قال رسول اللّٰه ﷺ : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى ههنا ، التقوى ههنا- ويشير إلى صدره- بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله »[1] . وفى رواية : « لا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، ولا تجسسوا ، ولا تحسسوا ، ولا تناجشوا ، وكونوا عباد اللّٰه إخوانًا »[2] ، وفي رواية : « لا تقاطعوا ، ولا تدابروا ، ولا تباغضوا ، ولا تحاسدوا ، وكونوا عباد اللّٰه إخوانًا »[2] ، ويقول عليه الصلاة والسلام : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا »[3] ، وقال عليه الصلاة والسلام لأبى أيوب رضى اللّٰه عنه : « ألا أدلك على تجارة ؟ » قال : بلى يا رسول اللّٰه . قال : « تسعى فى الإصلاح بين الناس إذا تفاسدوا ، وتقارب بينهم إذا تباعدوا »[4] . وفى مقابلة أمر النبي ﷺ المؤمنين بالتحاب والتآلف ومحبة الخير والتعاون على البر والتقوى ، وفعل الأسباب التى تقوى ذلك وتنميه ، فى مقابلة ذلك نهي النبي ﷺ عن كل ما يوجب تفرق المسلمين وتباعدهم ، وذلك لما فى التفرق والبغضاء من المفاسد العظيمة ، فالتفرق هو قرة عين شياطين الجن والإنس ؛ لأن شياطين الإنس والجن لا يودون من أهل الإسلام أن يجتمعوا على شيء ، فهم يريدون أن يتفرقوا لأنهم يعلمون أن التفرق تفتت للقوة التى تحصل بالالتزام والاتجاه إلى اللّٰه عز وجل .

---

[1] أخرجه مسلم (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة بلفظه .

[2] البخاري (٥١٤٤، ٦٠٦٦) ، ومسلم (٢٥٦٣) من حديث أبي هريرة .

[3] **متفق عليه** : البخاري (٤٨١) ، ومسلم (٢٥٨٥) من حديث أبي موسى الأشعري .

[4] أخرجه أبو داود الطيالسي (٥٩٨) ، ومن طريقه البيهقي في « الشعب » (١١٠٩٤) عن أبو الصباح الشامي ، عن عبد العزيز الشامي ، عن أبيه ، عن أبي أيوب . وهو مسلسل بالمجاهيل . وله طريق أخرى عن أبي أيوب عند عبد بن حميد (٢٣٢) ، والطبراني (٣٩٢٢) في إسناده موسى بن عبيدة ضعيف .

وله طرق أخرى عند البزار (٢٠٦٠-كشف) عن أنس فيها عبد الرحمن بن عبد اللّٰه العمري وهو متروك كما في « المجمع » (١٥٢/٨) ، وقد حسنه لغيره الألباني في « صحيح الترغيب » (٢٨١٨) .

فالنبي ﷺ حث على التآلف والتحاب بقوله وفعله، ونهى عن التفرق والاختلاف الذي يؤدي إلى تفريق الكلمة وذهاب الريح.

وأما عمل الصحابة: فقد وقع بينهم رضى اللّٰه عنهم الاختلاف، لكن لم يحصل به التفرق ولا العداوة ولا البغضاء، فقد حصل الخلاف بينهم فى عهد رسول اللّٰه ﷺ ورسول اللّٰه بين أظهرهم، فمن ذلك أن النبي ﷺ لما فرغ من غزوة الأحزاب، وجاءه جبريل يأمره أن يخرج إلى بني قريظة لنقضهم العهد قال النبي ﷺ لأصحابه: «لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة»[1] فخرجوا من المدينة إلى بني قريظة وحان وقت صلاة العصر فقال بعضهم: لا نصلي إلا فى بني قريظة ولو غابت الشمس؛ لأن النبي ﷺ قال: «لا يصلين أحد منكم العصر إلا فى بنى قريظة» فنقول: سمعنا وأطعنا.

ومنهم من قال: نصلى فى الوقت لأن رسول اللّٰه ﷺ أراد بذلك المبادرة والإسراع إلى الخروج، ولم يرد منا تأخير الصلاة، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فلم يعنف أحدًا منهم ولم يوبخه على ما فهم، وهم بأنفسهم رضي اللّٰه عنهم لم يتفرقوا من أجل اختلاف الرأي فى فهم حديث رسول اللّٰه ﷺ.

أما عمل السلف الصالح: فإن من أصول أهل السنة والجماعة فى المسائل الخلافية أن ما كان الخلاف فيه صادرًا عن اجتهاد وكان مما يسوغ فيه الاجتهاد؛ فإن بعضهم يعذر بعضًا بالخلاف، ولا يحمل بعضهم على بعض حقدًا، ولا عداوة، ولا بغضاء، بل يعتقدون أنهم إخوة حتى وإن حصل بينهم هذا الخلاف، حتى إن الواحد منهم ليصلي خلف من يرى أنه ليس على وضوء، ويرى الإمام أنه على وضوء؛ مثل أن يصلي خلف شخص أكل لحم إبل وهذا الإمام يرى أنه لا ينقض الوضوء، والمأموم يرى أنه ينقض الوضوء، فيرى أن الصلاة خلف ذلك الإمام صحيحة، وإن كان هو لو صلاها بنفسه لرأى أن صلاته غير صحيحة، كل هذا لأنهم يرون أن الخلاف الناشئ عن اجتهاد فيما يسوغ فيه الاجتهاد ليس فى

---

[1] **متفق عليه**: البخاري (٩٤٦)، ومسلم (١٧٧٠) من حديث ابن عمر.

الحقيقة بخلاف ؛ لأن كل واحد من المختلفين قد تبع ما يجب عليه اتباعه من الدليل الذي لا يجوز له العدول عنه ، فهم يرون أن أخاهم إذا خالفهم في عمل ما اتباعًا للدليل هو فى الحقيقة قد وافقهم ؛ لأنهم يدعون إلى اتباع الدليل أينما كان ، فإذا خالفهم موافقة لدليل عنده فهو فى الحقيقة قد وافقهم ؛ لأنه تمشي على ما يدعون إليه ويهدون إليه من تحكيم كتاب اللّه تعالى وسنة رسوله ﷺ .

أما ما لا يسوغ فيه الخلاف فهو ما كان مخالفًا لما كان عليه الصحابة والتابعون ، كمسائل العقائد التى ضل فيها من ضل من الناس ، ولم يحصل فيها الخلاف إلا بعد القرون المفضلة – أى لم ينتشر الخلاف إلا بعد القرون المفضلة – وإن كان بعض الخلاف فيها موجودًا فى عهد الصحابة ، ولكن ليعلم أننا إذا قلنا قرن الصحابة ليس المعنى أنه لا بد أن يموت كل الصحابة ، بل القرن ما وجد فيه معظم أهله .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه اللّه –: « إن القرن يحكم بانقضائه إذا انقرض أكثر أهله » .

فالقرون المفضلة انقرضت ولم يوجد فيها هذا الخلاف الذي انتشر بعدهم فى العقائد ، فمن خالف ما كان عليه الصحابة والتابعون فإنه عليه ولا يقبل خلافه .

أما المسائل التى وجد فيها الخلاف فى عهد الصحابة وكان فيها مساغ للاجتهاد فلا بد أن يكون الخلاف فيها باقيًا ، قال النبي ﷺ : « إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران ، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر »[1] فهذا هو الضابط .

فالواجب على المسلمين جميعًا أن يكونوا أمة واحدة ، وأن لا يحصل بينهم تفرق وتحزب بحيث يتناحرون فيما بينهم بأسنة الألسن ويتعادون ويتباغضون من أجل اختلاف يسوغ فيه الاجتهاد ، فإنهم وإن اختلفوا فيما يختلفون فيه فيما تقتضيه النصوص حسب أفهامهم فإن هذا أمر فيه سعة وللّه الحمد ، والمهم ائتلاف القلوب واتحاد الكلمة ، ولا ريب أن أعداء المسلمين يحبون من المسلمين أن يتفرقوا سواء كانوا أعداء يصرحون بالعداوة ، أو أعداء يتظاهرون بالولاية للمسلمين أو للإسلام وهم ليسوا كذلك .

---

[1] **متفق عليه** : أخرجه البخاري (٧٣٥٢) ، ومسلم (١٧١٦) من حديث عمرو بن العاص بنحوه .

الأصل الثالث

أن من تمام الاجتماع : السمع والطاعة لمن تَأَمَّرَ علينا ولو كان عبدًا حبشيًا ، فبين الله هذا بيانًا شافيًا كافيًا بوجوه من أنواع البيان شرعًا وقدرًا ، ثم صار هذا الأصل لا يعرف عند أكثر من يدعى العلم ، فكيف العمل به ؟!

□ الشـــــرح □

قوله : « أن من تمام الاجتماع السمع والطاعة ... إلخ » .

ذكر المؤلف رحمه الله تعالى أن من تمام الاجتماع السمع والطاعة لولاة الأمر بامتثال ما أمروا به وترك ما نهوا عنه ، ولو كان من تأمر علينا عبدًا حبشيًا .

قوله : « فبين الله هذا بيانًا شافيًا كافيًا ... إلخ » .

أما بيانه شرعًا : ففى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ : فمن بيانه فى كتاب الله تعالى قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾ [النساء: ٥٩] . الآية ، وقوله : ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦] وقوله : ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران: ١٠٣] .

ومن بيانه فى سنة رسول الله ﷺ : ما ثبت فى الصحيحين من حديث عبادة ابن الصامت رضى الله عنه قال : « بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فى منشطنا ومكرهنا ، وعسرنا ويسرنا ، وأثره علينا ، وأن لا ننازع الأمر أهله ، قال : إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان »[1] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من رأى من أميره شيئًا فليصبر ، فإنه من فارق الجماعة شبرًا فمات فميتته جاهلية »[2] .

---

[1] **متفق عليه** : البخاري (٧٠٥٦) ، ومسلم (١٧٠٩) .

[2] **متفق عليه** : البخاري (٧٠٥٤) ، ومسلم (١٨٤٩) من حديث ابن عباس .

وقال ﷺ: «من خلع يدًا من الطاعة لقى اللَّه يوم القيامة لا حجة له»[1]. وقال: «اسمعوا وأطيعوا وإن أُمِّرَ عليكم عبد حبشي»[2]. وقال عليه الصلاة والسلام: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»[3] متفق عليه. وقال عبد اللَّه بن عمرو رضى اللَّه عنهما: كنا مع النبي ﷺ فى سفر فنزلنا منزلًا فنادى منادى رسول اللَّه ﷺ الصلاة جامعة، فاجتمعنا إلى رسول اللَّه ﷺ فقال: «إنه ما من نبى بعثه اللَّه إلا كان حقًّا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جعلت عافيتها فى أولها، وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها، وتجيء فتنة يرقق بعضها بعضًا، تجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتي، وتجيء الفتنة فيقول هذه هذه، فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن باللَّه واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه، ومن بايع إمامًا فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع، فإن جاءه آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر»[4] رواه مسلم.

وأما بيانه قدرًا: فإنه لا يخفى حال الأمة الإسلامية حين كانت متمسكة بدينها، مجتمعة عليه، معظمة لولاة أمورها، منقادة لهم بالمعروف، كانت لها السيادة والظهور فى الأرض كما قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ [النور: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١].

---

[1] أخرجه مسلم (١٨٥١) من حديث عبد الله بن عمر.

[2] أخرجه البخاري (٦٩٣) من حديث أنس.

[3] **متفق عليه**: البخاري (٧١٤٤)، ومسلم (١٨٣٩) من حديث عبد الله بن عمر.

[4] أخرجه مسلم (١٨٤٤).

ولما أحدثت الأمة الإسلامية ما أحدثت وفرقوا دينهم ، وتمردوا على أئمتهم ، وخرجوا عليهم وكانوا شيعًا نزعت المهابة من قلوب أعدائهم ، وتنازعوا ففشلوا وذهب ريحهم ، وتداعت عليهم الأمم وصاروا غثاءً كغثاء السيل .

وصار هذا الأصل لا يعرف عند أكثر من يدعي العلم والغيرة على دين اللّٰه ، وترك العمل به ، ورأى كل فرد من أفراد الرعية نفسه أميرًا ، أو بمنزلة الأمير المنابذ للأمير . فالواجب علينا جميعًا - رعاة ورعية - أن نقوم بما أوجب اللّٰه علينا من التحاب والتعاون على البر والتقوى ، والاجتماع على المصالح لنكون من الفائزين ، وعلينا أن نجتمع على الحق ونتعاون عليه ، وأن نخلص فى جميع أعمالنا ، وأن نسعى لهدف واحد هو إصلاح هذه الأمة إصلاحًا دينيًا ودنيويًا بقدر ما يمكن ، ولن يمكن ذلك حتى تتفق كلمتنا ، ونترك المنازعات بيننا والمعارضات التى لا تحقق هدفًا ، بل ربما تفوت مقصودًا وتعدم موجودًا .

إن الكلمة إذا تفرقت ، والرعية إذا تمردت ، دخلت الأهواء والضغائن ، وصار كل واحد يسعى لتنفيذ كلمته ، وإن تبين أن الحق والعدل فى خلافها ، وخرجنا عن توجيهات اللّٰه تعالى حيث يقول : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران : ١٠٢، ١٠٣] .

فإذا عرف كل واحد ما له وما عليه وقام به على وفق الحكمة ، فإن الأمور العامة والخاصة تسير على أحسن نظام وأكمله .

* * * *

الأصل الرابع

بيان العلم والعلماء ، والفقه والفقهاء ، وبيان من تشبه بهم وليس منهم ، وقد بين اللّه هذا الأصل فى أول سورة البقرة من قوله : ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾ [البقرة: ٤٠] إلى قوله : ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧] ، ويزيده وضوحًا ما صرحت به السنة في هذا الكلام الكثير البين الواضح للعامي البليد ، ثم صار هذا أغرب الأشياء ، وصار العلم والفقه هو البدع والضلالات ، وخيار ما عندهم : لبس الحق بالباطل ، وصار العلم الذي فرضه اللّه تعالى على الخلق ومدحه لا يتفوه به إلا زنديق أو مجنون ، وصار من أنكره وعاداه وجَدَّ فى التحذير عنه والنهي عنه هو الفقيه العالم .

□ الشـــــرح □

قوله : « بيان العلم والعلماء ، والفقه والفقهاء ...إلخ »

المراد بالعلم هنا العلم الشرعى ؛ وهو : علم ما أنزل اللّه على رسوله من البينات والهدى ، والعلم الذي فيه المدح والثناء ؛ هو علم الشرع علم ما أنزله اللّه على رسوله ﷺ من الكتاب والحكمة ، قال اللّه تعالى : ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الزُّمَر: ٩] ، وقال النبي ﷺ : « من يرد اللّه به خيرًا يفقهه فى الدين »[1] . وقال النبي ﷺ : « إن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا ، إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر »[2] . ومن المعلوم أن الذي

---

[1] **متفق عليه** : البخاري (٧١) ، ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية .

[2] **حسن** : أخرجه أبو داود (٣٦٤١) ، وابن ماجة (٢٢٣) ، وابن حبان (٨٨-إحسان) ، وأحمد (٥/١٩٦) ، والدارمي (١/٩٨) من طريق عاصم بن رجاء ، عن داود بن جميل ، عن كثير بن قيس عن أبي الدرداء .

وإسناده ضعيف ، لضعف داود بن جميل ويقال الوليد بن جميل .

وأخرجه الترمذي (٢٦٨٢) ، وأحمد (٥/١٩٦) وأسقطا منه داود بن جميل . قال الترمذي : « ولا نعرف هذا الحديث إلا من حديث عاصم بن رجاء بن حيوة ، وليس هو عندي بمتصل ... وإنما يروى هذا الحديث عن =

ورثه الأنبياء إنما هو علم الشريعة ، ومع هذا فنحن لا ننكر أن يكون للعلوم الأخرى فائدة ، ولكنها فائدة ذات حدين : إن أعانت على طاعة اللَّه وعلى نصر دين اللَّه وانتفع بها عباد اللَّه كانت خيرًا ومصلحة ، وقد ذكر بعض أهل العلم أن تعلم الصناعات فرض كفاية ، وهذا محل نظر ونزاع .

وعلى كل حال فالعلم الذي ورد الثناء فيه وعلى طالبيه هو فقه كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ ، وما عدا ذلك فإن كان وسيلة إلى خير فهو خير ، وإن كان وسيلة إلى شر فهو شر ، وإن لم يكن وسيلة لهذا وهذا ، فهو ضياع وقت ولغو .

والعلم له فضائل كثيرة :

منها : أن اللَّه يرفع أهل العلم في الآخرة وفى الدنيا ؛ أما فى الآخرة فإن اللَّه يرفعهم درجات بحسب ما قاموا به من الدعوة إلى اللَّه والعمل بما علموا ، وفى الدنيا يرفعهم اللَّه بين عباده بحسب ما قاموا به ، قال اللَّه تعالى : ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١] .

ومنها : أنه إرث النبي ﷺ كما قال النبي ﷺ : « إن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا ، إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر » .

ومنها : أنه مما يبقى للإنسان بعد مماته ، فقد ثبت في الحديث أن النبي ﷺ قال : « إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث ؛ صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح »[1] .

ومنها : أن الرسول ﷺ لم يرغب أحدًا أن يغبط أحدًا على شيء من النعم إلا على نعمتين هما :

١- طلب العلم والعمل به .

٢- الغني الذي جعل ماله خدمة للإسلام ، فعن عبد اللَّه بن مسعود رضى اللَّه عنه قال رسول اللَّه ﷺ : « لا حسد إلا فى اثنتين رجل آتاه اللَّه مالًا فسلطه على

= عاصم بن رجاء بن حيوة عن الوليد بن جميل عن كثير بن قيس ، عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ . وهذا أصح من حديث محمود بن خداش » . وللحديث شواهد أخرى انظر تحقيقي لكتاب « رفع الملام » لابن تيمية .

[1] أخرجه مسلم (١٦٣١) من حديث أبي هريرة .

هلكته في الحق، ورجل آتاه اللَّه حكمة فهو يقضي بها ويعلمها»[1].

ومنها: أن العلم نور يستضيء به العبد فيعرف كيف يعبد ربه وكيف يعامل غيره، فتكون مسيرته في ذلك على علم وبصيرة.

ومنها: أن العالم نور يهتدي به الناس في أمور دينهم ودنياهم، ولا يخفى على كثير من الناس قصة الرجل الذي من بني إسرائيل قتل تسعًا وتسعين نفسًا فسأل رجلًا عابدًا هل له من توبة. فكأن العابد استعظم الأمر فقال: «لا» فقتله السائل فأتم به المائة، ثم ذهب إلى عالم فسأله فأخبره أن له توبة وأنه لا شيء يحول بينه وبين التوبة، ثم دله على بلد أهله صالحون ليخرج إليه، فخرج فأتاه الموت في أثناء الطريق، والقصة مشهورة[2]، فانظر الفرق بين العالم والجاهل.

إذا تبين ذلك فلابد من معرفة من هم العلماء حقًّا؟ هم الربانيون الذين يربون الناس على شريعة ربهم؛ حتى يتميز هؤلاء الربانيون عمن تشبه بهم وليس منهم، يتشبه بهم في المظهر والمنظر والمقال والفعال، لكنه ليس منهم في النصيحة للخلق وإرادة الحق، فخيار ما عنده أن يلبس الحق بالباطل ويصوغه بعبارات مزخرفة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا، بل هو البدع والضلالات الذي يظنه بعض الناس هو العلم والفقه، وأن ما سواه لا يتفوه به إلا زنديق أو مجنون.

هذا معنى كلام المؤلف - رحمه اللَّه - وكأنه يشير إلى أئمة أهل البدع المضلين، الذين يلمزون أهل السنة بما هم بريئون منه؛ ليصدوا الناس عن الأخذ منهم، وهذا إرث الذين طغوا من قبلهم، وكذبوا الرسل كما قال اللَّه تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات: ٥٢]. قال اللَّه تعالى: ﴿أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٣].

* * * *

[1] **متفق عليه**: البخاري (٧٣)، ومسلم (٨١٦).

[2] **متفق عليه**: البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٧٦٦) من حديث أبي سعيد الخدري.

الأصل الخامس

بيان اللّه سبحانه لأولياء اللّه وتفريقه بينهم وبين المتشبهين بهم من أعداء اللّــه المنافقين والفجار ، ويكفى فى هذا آية من سورة آل عمران ، وهى قوله : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ الآية [آل عمران: ٣١] . وآية فى سورة المائدة وهى قوله : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤] ، الآية ، وآية فى يونس وهى قوله : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣] ، ثم صار الأمر عند أكثر من يدعي العلم وأنه من هداة الخلق وحفاظ الشرع إلى أن الأولياء لا بد فيهم من ترك اتباع الرسل ، ومن تبعهم فليس منهم ، ولا بد من ترك الجهاد ، فمن جاهد فليس منهم ، ولا بد من ترك الإيمان والتقوى ، فمن تقيد بالإيمان والتقوى فليس منهم ! يا ربنا ؛ نسألك العفو والعافية إنك سميع الدعاء .

◻ الشـــــرح ◻

قوله : « بيان اللّه سبحانه لأولياء اللّه ... إلخ » .

أولياء اللّه تعالى : هم الذين آمنوا به وأتقوه واستقاموا على دينه وهم من وصفهم اللّه تعالى بقوله : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣] ، فليس كل من يدعي الولاية يكون وليًا ، وإلا لكان كل واحد يدعيها ، ولكن يوزن هذا المدعى للولاية بعمله ، إن كان عمله مبنيًا على الإيمان والتقوى فإنه ولي ، وإلا فليس بولي وفى دعواه الولاية تزكية لنفسه وذلك ينافي تقوى اللّه عز وجل ؛ لأن اللّه تعالى يقول : ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢] . فإذا ادعى أنه من أولياء اللّه فقد زكى نفسه ، وحينئذ يكون واقعًا في معصية اللّه وفيما نهاه اللّه عنه ، وهذا ينافي التقوى ، فأولياء اللّه لا يزكون أنفسهم بمثل هذه الشهادة ، وإنما هم يؤمنون

بالله ويتقونه ، ويقومون بطاعته سبحانه وتعالى على الوجه الأكمل ، ولا يغرون الناس ويخدعونهم بهذه الدعوى حتى يضلوهم عن سبيل الله تعالى . فهؤلاء الذين يدعون أنفسهم أحيانًا أسيادًا ، وأحيانًا أولياء ، لو تأمل الإنسان ما هم عليه لوجدهم أبعد ما يكونون عن الولاية والسيادة فنصيحتي لإخواني المسلمين أن لا يغتروا بمدعي الولاية ، حتى يقيسوا حاله بما جاء في النصوص في أوصاف الأولياء ، وقد أشار الشيخ رحمه الله تعالى إلى علامة محبة الله وولايته بما ساقه من الآيات :

الآية الأولى : قوله تعالى في آل عمران : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] ، وهذه الآية تسمى آية المحنة أي الامتحان حيث ادعى قوم محبة الله تعالى ، فأنزل الله هذه الآية ، فمن ادعى محبة الله تعالى نظرنا في عمله فإن كان متبعًا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو صادق ، وإلا فهو كاذب .

الآية الثانية : قوله تعالى في المائدة : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤] الآية ، فوصفهم بأوصاف هي علامة المحبة وثمراتها :

الوصف الأول : أنهم أذلة على المؤمنين ، فلا يحاربونهم ولا يقفون ضدهم ولا ينابذونهم .

الوصف الثاني : أنهم أعزة على الكافرين ، أي أقوياء عليهم غالبون لهم .

الوصف الثالث : أنهم يجاهدون في سبيل الله أي يبذلون الجهد في قتال أعداء الله لتكون كلمة الله هي العليا .

الوصف الرابع : أنهم لا يخافون في الله لومة لائم ، أي إذا لامهم أحد على ما قاموا به من دين الله لم يخافوا لومته ، ولم يمنعهم ذلك من القيام بدين الله ﷻ .

الآية الثالثة : قوله تعالي في يونس : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣] . فبين الله تعالى أن أولياء الله تعالى هم الذين اتصفوا بهذين الوصفين : الإيمان والتقوى فالإيمان بالقلب ، والتقوى بالجوارح ، فمن ادعى الولاية ولم يتصف بهذين

الوصفين فهو كاذب .

ثم إن الشيخ رحمه الله بين أن الأمر صار على العكس عند أكثر من يدعي العلم ، وأنه من هداة الخلق وحفاظ الشرع ، فالولى عنده من لا يتبع الرسل ولا يجاهد في سبيل الله ولا يؤمن به ولا يتقيه .

ويحسن بنا أن ننقل هنا ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في رسالته : « الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان » ونسوق ما تيسر منها :

قال رحمه الله : « وقد بين سبحانه وتعالى في كتابه وسنة رسوله ﷺ أن للّه أولياء من الناس ، وللشيطان أولياء ، ففرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، فقال تعالى : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢- ٦٤] . وذكر أولياء الشيطان ، فقال تعالى : ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٩٨- ١٠٠] . فيجب أن يفرق بين هؤلاء وهؤلاء كما فرق الله ورسوله بينهما ، فأولياء الله هم المؤمنون المتقون ، وهم الذين آمنوا به ووالوه ، فأحبوا ما يحب ، وأبغضوا ما يبغض ، ورضوا بما يرضى ، وسخطوا بما يسخط ، وأمروا بما يأمر ، ونهوا عما نهى ، وأعطوا ما يحب أن يعطى ، ومنعوا من يحب أن يمنع ، فلا يكون وليًا للّه إلا من آمن به وبما جاء به ، واتبعه باطنًا وظاهرًا ، ومن ادعى محبة الله وولايته – وهو لم يتبعه أي الرسول ﷺ – فليس من أولياء الله ، بل من خالفه كان من أعداء الله وأولياء الشيطان قال تعالى : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] ، فالناس متفاضلون فى ولاية الله عز وجل ، بحسب تفاضلهم في الأيمان والتقوى ، وكذلك يتفاضلون في عداوة الله ، بحسب تفاضلهم في الكفر والنفاق ، وأولياء الله على طبقتين : سابقون مقربون ، وأصحاب يمين مقتصدون ، ذكرهم الله في عدة مواضع من كتابه العزيز ؛ أول سورة الواقعة وآخرها ، وفي الإنسان ، والمطففين ،

وفي سورة فاطر ... والجنة درجات متفاضلة تفاضلًا عظيمًا ، وأولياء اللَّه المؤمنون المتقون فى تلك الدرجات بحسب إيمانهم وتقواهم .

فمن لم يتقرب إلى اللَّه ؛ لا يفعل الحسنات ولا يترك السيئات لم يكن من أولياء اللَّه فلا يجوز لأحد أن يعتقد أنه ولى للَّه ، لا سيما أن تكون محجته على ذلك إما مكاشفة سمعها منه ، أو نوع من تصرف ...، فلا يجوز لأحد أن يستدل بمجرد ذلك على كون الشخص وليًا للَّه ، وإن لم يعلم منه ما ينقض ولاية اللَّه ، فكيف إذا علم منه ما يناقض ولاية اللَّه ؟ مثل أن يعلم أنه لا يعتقد وجوب اتباع النبي ﷺ باطنًا وظاهرًا ، بل يعتقد أنه يتبع الشرع الظاهر دون الحقيقة الباطنة ، أو يعتقد أن لأولياء اللَّه طريقًا إلى اللَّه غير طريق الأنبياء عليهم السلام ...، فعلى هذا فمن أظهر الولاية وهو لا يؤدي الفرائض ولا يجتنب المحارم ، بل قد يأتي بما يناقض ذلك لم يكن لأحد أن يقول هذا ولي اللَّه ... وليس لأولياء اللَّه شيء يتميزون به عن الناس في الظاهر من الأمور المباحات ...

وليس من شرط ولي اللَّه أن يكون معصومًا لا يغلط ولا يخطئ ، بل يجوز أن يخفى عليه بعض علم الشريعة ، ويجوز أن يشتبه عليه بعض أمور الدين ...، ولهذا لما كان ولى اللَّه يجوز أن يغلط لم يجب على الناس الإيمان بجميع ما يقوله من هو ولي اللَّه لئلا يكون نبيًا ...، بل يجب أن يعرض ذلك جميعه على ما جاء به محمد ﷺ ، فإن وافقه قبله ، وإن خالفه لم يقبله ، وإن لم يعلم أموافق هو أم مخالف ؟ توقف فيه ، والناس في هذا الباب ثلاثة أصناف طرفان ووسط ، فمنهم من إذا اعتقد في شخص أنه ولي للَّه وافقه في كل ما يظن أنه حدث به قلبه عن ربه ، وسلم إليه جميع ما يفعله ، ومنهم من إذا رآه قد قال أو فعل ما ليس بموافق للشرع أخرجه عن ولاية اللَّه بالكلية ، وإن كان مجتهدًا مخطئًا . وخيار الأمور أوساطها : وهو أن لا يجعل معصومًا ولا مأثومًا إذا كان مجتهدًا مخطئًا ، فلا يتبع في كل ما يقوله ، ولا يحكم عليه بالكفر والفسق مع اجتهاده ، والواجب على الناس اتباع ما بعث اللَّه به رسوله ... وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن كل واحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول اللَّه ﷺ ، وهذا من الفروق بين الأنبياء وغيرهم ، فالأنبياء صلوات اللَّه عليهم

يجب لهم الإيمان بجميع ما يخبرون به عن اللّٰه عز وجل ، وتجب طاعتهم فيما يأمرون به ، بخلاف الأولياء فإنهم لا تجب طاعتهم في كل ما يأمرون به ، ولا الإيمان بجميع ما يخبرون به ، بل يعرض أمرهم وخبرهم على الكتاب والسنة ، فما وافق الكتاب والسنة وجب قبوله ، وما خالف الكتاب والسنة كان مردودًا ، وإن كان صاحبه من أولياء اللّٰه وكان مجتهدًا معذورًا فيما قاله ، له أجر على اجتهاده ، لكنه إذا خالف الكتاب والسنة كان مخطئًا وكان من الخطأ المغفور إذا كان صاحبه قد اتقى اللّٰه ما استطاع ، وهذا الذي ذكرته من أن أولياء اللّٰه يجب عليهم الاعتصام بالكتاب والسنة ، وأنه ليس فيهم معصوم ، يسوغ له أو لغيره اتباع ما يقع في قلبه من غير اعتبارٍ بالكتاب والسنة ، هو مما اتفق عليه أولياء اللّٰه عز وجل ، ومن خالف فى هذا فليس من أولياء اللّٰه سبحانه الذين أمر اللّٰه باتباعهم ، بل إما أن يكون كافرًا ، وإما أن يكون مفرطًا فى الجهل ، وكثير من الناس يغلط فى هذا الموضع ، فيظن في شخص أنه ولي اللّٰه ، ويظن أن ولي اللّٰه يقبل منه كل ما يقوله ، ويسلم إليه كل ما يقوله ، ويسلم إليه كل ما يفعله ، وإن خالف الكتاب والسنة ، فيوافق ذلك له ، ويخالف ما بعث اللّٰه به رسوله ، الذي فرض اللّٰه على جميع الخلق تصديقه فيما أخبر ، وطاعته فيما أمر ، وجعله الفارق بين أوليائه وأعدائه ، وبين أهل الجنة وأهل النار ، وبين السعداء والأشقياء ، فمن اتبعه كان من أولياء اللّٰه المتقين وجنده المفلحين وعباده الصالحين ، ومن لم يتبعه كان من أعداء اللّٰه الخاسرين المجرمين ، فتجره مخالفة الرسول وموافقة ذلك الشخص أولًا إلى البدعة والضلال ، وآخرًا إلى الكفر والنفاق ...، وتجد كثيرًا من هؤلاء عمدتهم فى اعتقاده كونه وليًا للّٰه أنه قد صدر عنه مكاشفة فى بعض الأمور ، أو بعض التصرفات الخارقة للعادة ...، وليس فى شيء من هذه الأمور ما يدل على أن صاحبها ولي للّٰه ، بل قد اتفق أولياء اللّٰه على أن الرجل لو طار في الهواء أو مشى على الماء ، لم يغتر به حتى ينظر متابعته لرسول اللّٰه ﷺ وموافقته لأمره ونهيه ...، وكرامات أولياء اللّٰه تعالى أعظم من هذه الأمور ، وهذه الأمور الخارقة للعادة وإن كان صاحبها وليًا للّٰه فقد يكون عدوًا للّٰه ، فإن هذه الخوارق تكون لكثير من الكفار والمشركين وأهل

الكتاب والمنافقين ، وتكون لأهل البدع ، وتكون من الشياطين ، فلا يجوز أن يظن أن كل من كان له شيء من هذه الأمور أنه ولي لله ، بل يعتبر أولياء الله بصفاتهم وأفعالهم وأحوالهم التى دل عليها الكتاب والسنة ، ويعرفون بنور الإيمان والقرآن ، وبحقائق الإيمان الباطنة ، وشرائع الإسلام الظاهرة ...، وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أولياء الله تعالى على أن الأنبياء أفضل من الأولياء الذين ليسوا بأنبياء ، وقد رتب الله عباده السعداء المنعم عليهم « أربع مراتب » فقال الله تعالى : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: ٦٩] ...، ولهم الكرامات التى يكرم الله بها أولياءه المتقين ، وخيار أولياء الله كراماتهم لحجة فى الدين أو لحاجة بالمسلمين ، كما كانت معجزات نبيهم ﷺ كذلك ، وكرامات أولياء الله إنما حصلت ببركة اتباع رسول الله ﷺ ، فهي في الحقيقة تدخل في معجزات الرسول ﷺ ، ومما ينبغي أن يعرف أن الكرامات قد تكون بحسب حاجة الرجل ، فإذا احتاج إليها لضعف الإيمان أو المحتاج أتاه منها ما يقوي إيمانه ويسد حاجته ، ويكون من هو أكمل ولاية لله منه مستغنيًا عن ذلك ، فلا يأتيه مثل ذلك لعلو درجته وغناه عنها لا لنقص ولايته ، ولهذا كانت هذه الأمور في التابعين أكثر منها في الصحابة ، بخلاف من يجري على يديه الخوارق لهدى الخلق ولحاجتهم فهؤلاء أعظم درجة ...، والناس في خوارق العادات على ثلاثة أقسام :

قسم يكذب بوجود ذلك لغير الأنبياء ، وربما صدق به مجملًا ، وكذب ما يذكر له عن كثير من الناس ؛ لكونه عنده ليس من الأولياء .

ومنهم من يظن أن كل من كان له نوع من خرق العادة كان وليًا لله ، وكلا الأمرين خطأ ...، ولهذا تجد أن هؤلاء يذكرون أن للمشركين وأهل الكتاب نصراء يعينونهم على قتال المسلمين وأنهم من أولياء الله ، وأولئك يكذبون أن يكون معهم من له خرق عادة ، والصواب القول الثالث ، وهو أن معهم من ينصرهم من جنسهم لا من أولياء الله عز وجل » .

وفيما نقل كفاية إن شاء الله تعالى ، ومن أراد المزيد فليرجع إلى الأصل ، والله الموفق .

الأصل السادس

رد الشبهة التى وضعها الشيطان في ترك القرآن والسنة واتباع الآراء والأهواء المتفرقة المختلفة ، وهي : أن القرآن والسنة لا يعرفهما إلا المجتهد المطلق ، والمجتهد هو الموصوف بكذا وكذا : أوصافًا لعلها لا توجد تامة في أبي بكر وعمر ، فإن لم يكن الإنسان كذلك فليعرض عنهما فرضًا حتمًا لا شك ولا إشكال فيه ، ومن طلب الهدى منهما فهو إما زنديق ، وإما مجنون لأجل صعوبة فهمهما فسبحان اللّه وبحمده كم بين اللّه سبحانه شرعًا وقدرًا ، خلقًا وأمرًا في رد هذه الشبهة الملعونة من وجوه شتى بلغت إلى حد الضروريات العامة ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَـٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس: ٧- ١١] .

آخره والحمد للّه رب العالمين ، وصلى اللّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين .

◻ الشـــــرح ◻

قوله : « رد الشبهة التي وضعها الشيطان في ترك القرآن والسنة واتباع الآراء والأهواء المتفرقة المختلفة ... إلخ »

الاجتهاد لغة : بذل الجهد لإدراك أمر شاق .

واصطلاحًا : بذل الجهد لإدراك حكم شرعي .

والاجتهاد له شروط منها :

١- أن يعلم من الأدلة الشرعية ما يحتاج إليه فى اجتهاده ، كآيات الأحكام وأحاديثها .

٢- أن يعرف ما يتعلق بصحة الحديث وضعفه كمعرفة الإسناد ورجاله وغير ذلك .

٣- أن يعرف الناسخ والمنسوخ ومواقع الإجماع حتى لا يحكم بمنسوخ أو مخالف للاجماع .

٤- أن يعرف من الأدلة ما يختلف به الحكم من تخصيص أو تقييد أو نحوه حتى لا يحكم بما يخالف ذلك .

٥- أن يعرف من اللغة وأصول الفقه ما يتعلق بدلالات الألفاظ كالعام والخاص، والمطلق والمقيد، والمجمل والمبين، ونحو ذلك ليحكم بما تقتضيه تلك الدلالات .

٦- أن يكون عنده قدرة يتمكن بها من استنباط الأحكام من أدلتها .

والاجتهاد يتجزأ، فيكون في باب واحد من أبواب العلم، أو في مسألة من مسائله، **والمهم أن المجتهد يلزمه** : أن يبذل جهده في معرفة الحق ثم يحكم بما يظهر له فإن أصاب فله أجران : أجر على اجتهاده وأجر على إصابة الحق ؛ لأن في إصابة الحق إظهارًا له وعملًا به، وإن أخطأ فله أجر واحد، والخطأ مغفور له ؛ لقوله ﷺ : « إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر »[1] . وإن لم يظهر له الحكم وجب عليه التوقف، وجاز التقليد حينئذ للضرورة لقوله تعالى : ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « إن التقليد بمنزلة أكل الميتة، فإذا استطاع أن يستخرج الدليل بنفسه فلا يحل له التقليد » .

وقال ابن القيم رحمه الله في « النونية » :

العلم معرفة الهدى بدليله ما ذاك والتقليد يستويان

---

[1] تقدم تخريجه ص٨٨ .

تم بحمد الله تعالى الفراغ من تحقيق هذه الرسالة، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وكتبه

أبو عاطف محمد بن عبد الله الطالبي

عفا الله عنه وعن والديه وزوجه

والتقليد يكون في موضعين :

الأول : أن يكون المقلد عاميًا لا يستطيع معرفة الحكم بنفسه ، ففرضه التقليد لقوله تعالى : ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ، ويقلد أفضل من يجده علمًا وورعًا ، فإن تساوى عنده اثنان خير بينهما .

الثاني : أن يقع للمجتهد حادثة تقتضي الفورية ولا يتمكن من النظر فيها فيجوز له التقليد حينئذ .

والتقليد نوعان : عام وخاص .

فالعام : أن يلتزم مذهبا معينًا يأخذ برخصه وعزائمه فى جميع أمور دينه ، وقد اختلف العلماء فيه :

فمنهم من حكى وجوبه لتعذر الاجتهاد في المتأخرين ، ومنهم من حكى تحريمه لما فيه من الالتزام المطلق لاتباع غير النبي ﷺ ، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّٰه : « إن في القول بوجوب طاعة غير النبي ﷺ فى كل أمره ونهيه هو خلاف الإجماع ، وجوازه فيه ما فيه » .

والخاص : أن يأخذ بقول معين فى قضية معينة ، فهذا جائز إذا عجز عن معرفة الحق بالاجتهاد ، سواء عجز عجزًا حقيقيًا ، أو استطاع ذلك مع المشقة العظيمة .

وبهذا انتهت رسالة الأصول الستة ، فنسأل اللّٰه تعالى أن يثيب مؤلفها أحسن الثواب ، وأن يجمعنا وإياه في دار كرمته ، إنه جواد كريم ، والحمد للّٰه رب العالمين ، وصلى اللّٰه وسلم على نبينا محمد .

* * * *

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع **الصفحة**

* * * *